المنظر :

قاعة عرش مكشوفة . قاع المسرح سماء صافية ، وفى الصدر كرسى العرش عن يساره كرسى أصغر حجما وعن يمينه على الأرض وسادة مطرزة . على جانبى العرش أعمدة طابعها شرقى قديم . تنحدر امام العرش درجات عريضة الى المستوى الأدنى حيث نرى في أقصى اليسار كرسى صغير الحجم وفى أقصى اليمين مصطبة مغطاة الآن بقماش مزركش تبدو كأريكة شرقية .

فى الضوء الغامر وعلى ارتفاع موسيقى الاحتفالات الطنانة يتقدم هجرس (١٧ سنة) وخلفه جليلة وأبوها مرة (شيخ أبيض اللحية)، وخلفهما أسما ، قلقة النظرات وفى سلوكها غرابة : وسلطان الذى لم يبارحه بعد حزنه على أخيه جساس .

فى نفس الوقت تندفع يمامة ، ضئيلة الجسم عصبية وهزيلة ، من الجهة المقابلة لجهة



دخولهم وتتجه الى الكرسى المنفرد يسار اسفل المسرح وتقعد ساكنة ٠

يدخل فرسان وحملة اعلام وموسيقيون ويقفون حول المسرح والموكب الرزين الذى يحف بهجرس يتقدم الى مقدمة المسرح ٠

الجميع فى ملابس الاحتفالات ٠

مرة : الآن يا ولدى ٠ حضر أمراء بكر وأمراء تغلب ، وتصالحت القبيلتان المختصمتان على مبايعتك والولاء لك ٠

جليلة : (تلمشه بحنان) ولدى ٠

هجرس : (يشيح عنها ويبتعد خطوة) ٠٠

مرة : (مسترسلا) بكونى سيد قبيلة بكر ، وجدك لأمك جليلة ، وعم أبيك الراحل كليب سيد قبيلة تغلب وملك جميع العرب القيسيين بكريين وتغلبيين ٠٠ ساجهر بالمبايعة ٠ وعندئذ تدق الطبول ويرفع فرسان القبيلتين السيوف حتى تتماس أطرافها فى ود – لأول مرة منذ سبعة عشر عاما – اكراما لموكبك وأنت تتقدم الى عرش أبيك ، عرش جدك ربيعة ٠٠ أخي ، لتتخذه كرسي مملكتك ، ايذانا بأن أعمامك التغلبيين وأخوالك البكريين ارتضوا أن يكونوا لأوامرك طائعين ، ولأحكامك خاضعين ٠ تقدم يا ولدى ٠

جليلة : (بحنان) تقدم ٠

هجرس : (بانفعال مكظوم) لا أريد هذا العرش يا أمى ٠

جليلة : آه !

هجرس : (بانفعال مكظوم) لا أريد هذا العرش ٠٠ (يصرخ) لا أريد هذا العرش ! (بانفعال مكظوم) بت طول الليل افكر ٠ (يصيح) عرش على بحيرة دم !

جليلة : (تزجره) هجرس !

اسما : (تضحك فى نزق) لا يريد العرش !

جليلة : مشينا سكة طويلة الى هذه المصالحة يا ولدى ٠ أما العرش أو استئناف الحرب ٠

اسما : فليحرق خشبة فى النار سبع مرات ، ولن يتطهر أبدا ٠

مرة : (لاسما) اسكتى !

هجرس : العرش ٠٠ ولا أعرف حتى لماذا قتل خالى جساس ابن عمه الملك ، أبى ٠٠ أو لماذا أنتقم منه عمى الأمير سالم بهذه المقتلة الفظيعة ؟ ٠

جليلة : لا تلق أسئلة تستنفر الأحقاد ٠

هجرس : انما أسأل لأفرغ الصدور من الأحقاد ٠

مرة : عادة غير ملكية ٠ الملوك لا يطرحون الأسئلة يا ولدى ، بل يجيبون عليها ٠

اسما : ارتق العرش وأنت مغمض العينين ٠ كن ملكا جيدا ٠ (تضحك فى تهكم صاخب)

هجرس : (يتقدم من يمامة) أختى يمامة ٠٠ أتريدين لأخيك أن يكون الملك ؟

يمامة : لا ملك الا أبى ٠٠٠

هجرس : (يلمس العرش) أيها العرش · أيها الفخ · يا قدرى · أيها القبر ·

جليلة : عرش أبيك وجدك ·

هجرس : لكنى لم أولد عليه ·

جليلة : ولا أبوك ولد عليه ·

هجرس : لأن جدى قتل عليه ·

جليلة : وأبوك قتل عليه ·

هجرس : لم ؟! لم ؟! ··

مرة : أما جدك ربيعة فقتله الطاغيــة تبع حسان الذى وفد من خارج بلادنا فاغتصبها ·· الأرض والناس ، بحد السيف ، وقتل أخى ربيعة تحت بصرنا ونحن سجود بين يديه ··

هجرس : ولم اختصه دونكم بالقتل ؟

مرة : لأنه لم يكن ليركع مثلنا · هو ملكنا وسيد جميع العرب ·

هجرس : يا لثمن الكبرياء !

مرة : لا · فما تألم أخى غير لحظة · أما نحن الذين شهدنا بالعين كل التفاصيل ، وعشنا بعد ذلك نتذكر كل انتفاضة وكل أنة ونمضغ الهوان ··

هجرس : ويا لثمن المذلة !

مرة : نعم · ولكن كليبا كان عزاءنا ، ابن ربيعــة ·· وولدت بنتى جليلة فى تلك السنة ، فكانا بشيرين بالحياة · شب

كليب نبيلا وفارسا وأميرا للتغلبيين ، وشبت جليلة زينة للبادية حكمة وجمالا ، وأميرة للبكريين · فخطبها أبوك · ولكن شهرة جليلة كانت قد لفتت نظر الطاغية فطلبهـا لنفسه أما زواجا أو سبيا أو اغتصابا ·

هجرس : رضختم له ·

مرة : أخذنا الخوف والفزع · ولكن شبابنا اجتمعوا رفقة ·· كليب وجليلة وعمك سالم وخالك جساس ··

هجرس : أولاد العم ·

مرة : نعم · أولاد العم ، تغلب وبكر · جمعوا الشباب فى صناديق شوار العروس مع الملابس والحاجات ودخل كليب مخـدع الطاغية فى هيئة مضحك جليلة ·· بينما ربض ســالم وجساس فى صندوق أدخلوه تحت سريره ·

هجرس : ومن منهم قتله ؟

مرة : لا أحد يدرى · تصدى له كليب وجساس وسالم معـا ، ولكن أحدا لم يتكلم بعدها عما حدث فى مخـدع التبع حسان تلك الليلة العصيبة · قالوا مرة انهم طعنوه ثلاثتهم فى الظلام ·

هجرس : ولكنكم وليتم كليبا ·

مرة : اتفق جساس وسالم وجليلة على ذلك · كان ابن ربيعـة · ملك العرب ·

هجرس : ومع ذلك اغتاله جساس · وكان جساس صهره وابن عمه وأخاه فى السلاح · لعله كان يناديه بأخى ·

مـرة : نعـم ٠

هجرس : ثم قتـله ٠

مـرة : نعـم ٠

هجرس : لم ؟ ٠٠ (لحظة) لا جواب ٠

اسـما : اسأل يمامة اختك ، فقد شهدت الواقعة ٠

يمـامة : قتله من أجل عنبة ٠

هجرس : أهذا يعقل ؟ (يتجه لجليلة) قيل انك دبرت مقتل تبع حسان ، فهل دبرت مع أخيك مقتل زوجك ؟

جليـلة : ولدى !

هجرس : طردك عمى بلا احترام بعد مقتـل أبى ، وعشت فى بيوت البكريين ، لم ؟ ٠٠ (لحظة) لا جواب ٠

جليلة : طردتنى ابنتى يمامة ٠

يمامة : بكرية !

سلطان : (لمرة) أبى ٠ أنقبل ونحن بكريون ٠٠

مـرة : (يقاطعه) اسكت يا سلطان ٠

جليلة : نعم ٠ أنا بكرية ٠ جساس أخى ، ومرة أبى ٠ ولكنى زوجة كليب سيد تغلب ، وأم يمامة وهجرس :

هجرس : كيف عشت النقيضين فى الحرب يا أمى ؟

جليلة : ببرارة ٠

هجرس : وانت يا عمتى أسما ، ويا زوجة خـالى همام ٠ كيف عشت الحرب تغلبية لأبيك وبكرية لزوجك وأولادك ؟

اسـما : (تضحك) بجنون ٠

هجرس : واذن ؟! أهنا لسان غير مجنـون أو غير مرير ليتكلم بالحق ٠

سلطان : ان تكلم تغلبى عن سالم وكليب ، سأتكلم عن أخى جساس ٠

جليلة : لا لا ٠ الدماء لم تبرد بعد ٠

هجرس : أليس هنا رجل شهد الوقائع ولم تمسه بجنون أحقادها؟

مـرة : بل خاضها الجميع ٠

هجرس : فليتكلم كل عما رأى اذن ٠٠

اسـما : ألسنة الحقد !

هجرس : لا ٠ بلا حقد ٠

جليلة : من أين نبدأ ؟

هجرس : ابدئى بالبداية يا أمى ٠

جليلة : ذات يوم كان أبوك فى أهدأ حال ، كسماء صافيـة ٠ وكنا جوله هانئين ٠ فما أرق البداية !

(تتغير الاضاءة بينما ينسحب حملة الأعلام والموسيقيون ٠ كليب يجلس على العرش وجليلة على الكرسى يمين العرش ويمامة على الوسـادة تحت قدمى كليب ٠ كليب يداعب يمـامة بأن

يهدل لها بفمه · الى يسار الملك سالم وأمراء ، والى يمينه همام وجساس ومرة واسما وسلطان وأمراء · عازفان يطوفان بعرش الملك حـــول أسرته الهانئة أحدهما معه آله وترية والآخـــر صفارة ويعزفان لحنا هـادئا ومرحـا ويأتيـــان بحركات رشيقة لطيفة ·· ينسحب هجرس الى أسفل يمين المسرح) ·

جرس : (همسا) ملكى ، وأبى !

(يتقدم جساس وهمام فى جانب المسرح) ·

مام : (جانبا لجساس) ليس أحسن من هذا القصر يا أخى جساس ·

ساس : (جانبا لهمام) لا أحب ما ليس لى ·

ليب : (بصوت جهورى) أمرائى ورجالى · أيعلم أحدكم أن فوق هذه الأرض أو تحت قبة السماء فرســانا كرجالى أو أميرا أفرس من أخى سالم أو نساء أبهى واملح من زوجتى جليلة وابنتى يمامة · بساتين كبساتينى أو عدلا كعدلى أو قصرا كقصرى ؟

سرة : ما تليق بك هذه المقالة يا ولدى ·

كليب : لم ؟

جساس : مباهاة القياصرة والأكاسرة ·

سرة : لا أقصد ، ولكنك أغفلت التباهى بأولاد عمك همـــام وجساس وسلطان ·

كليب : أكلما فتحت فمى وجدت من يعترضنى فى قصرى ·· سوء طوية وفساد نفس ، لا أقل · عين الحسد ··

(ينفلت خارجا بينما تهرول خلفه يمـامة منزعجة ·· يضطرب الشمل ويهمون على أثره فيتصدى لهم سالم الزير ويده على سيفه) ·

ســالم : مكانكم !

جليلة : اخفض يدك يا سالم · لا يدخل أحدكم علينا بسلاح بعد اليوم · لا يدخل أحدكم علينا بسلاح ··

(يهمهم الحاضرون وهم ينسحبون الى الظل ، وقد خرج سالم · يسقط الجميع فى الظل ما عدا جليلة التى تقطع المسرح فى عصبية وخلفها وصيفتها) ·

جليلة : لا يغضب ملك ويرمى أتباعه بفساد النفس الا بسبب · للملوك حاســة تشعر ظــل الغمام فى الأفق · ناهيـك بالخيانة ! ولكن من ؟ من ؟ من ؟ ··

(تنسدل ستارة فى المستوى الأوسط للمسرح فتحجب المؤخرة · نحن الآن فى غرفة ســالم الزير بالقصر الملكى · صخب وفوضى وهرج · رجال ونساء فى حالة سكر وغناء غير واضـح يسكتون ساعة يقف الزير وكان متكئــا على الأريكة ، بيده كأسه) ·

ســالم : يا مجان العرب ، أيهـــا الخلعاء والمطاريد والشعراء والصعاليك ، أصدقائى وندمائى ، فلنشرب تحية ··

دجـل : (مقاطعا) للشعر !

سـالم : لا .

الفتـاة : للحب !

سـالم : لا .

ثالث : للخمر !

سـالم : لا .

رابـع : ما تقول ..

سـالم : لما لم نر ، ومالم نسمع ، وما لا نعرف ، فهو مناط أشواقنا !

الأول : أرو لنا قصة صيدك للأسد يا أمير .

أصوات : أخك ، تكلم .

سـالم : الى بفرسى .

(يلبس الرابع راس وجسم فرس محلى بالأجراس ويتقدم من سالم مختالا فيمثل انه قد امتطاه) .

سالم : اندفعت بفرسى الى بئر السباع .

ثالث : كيف ماؤه ؟

سـالم : شـفاه من الخوف . تركت الفرس ونزلت البير املا قربتى فدهمتنى شهقة للفرس وصيحة عالية قفزت لها راجعا فوق ، واذا بسبع كاسر مال يقيس بناظريه فرسى ، فأطلقت صيحة رمته على .

(يندفع أسد الى سالم فيشتبكان بينما يفر الحاضرون مذعورين . سالم يحز رقبة الأسـد بسكينة فاذا فى جوفه عجيب المضحك . يلتفت عجيب حواليه فلا يجد أحدا) .

عجيب : اخجلوا أيهـا السـادة من ضعف قلوبكم ، فلست الا عجيب مضحك مولاى الأمير .

(يدخل الندماء ينظرون بحذر ثم يتضاحكون)

الأول : أرعبتنا الله يجازيك .

الفتاة : وأين كنت يا عجيب وسيدك يصارع الأسد ؟

عجيب : كما ترون . كنت فى جوف الأسد .

الرابع : وكيف نجوت ؟

عجيب : كما ترون . حين حز مولاى رأسه ، خرجت معافى .

الفتـاة : والجنية ؟!

سـالم : رافقتنى طول الطريق تهش عنى لبؤات وأشبال السبع واخوته ..

عجيب : الى أن وصلنا ظاهر المدينة .

سـالم : بكت وقالت ..

(الفتاة قد تنكرت فى زى جنية تندفع الى سالم)

الفتـاة : أحبك يا أميرى وملكى : تزوجنى أمنحك ملك السماء والأرض .

سـالم : (يحتضن الأسد والجنية كل بذراع) يا رفيقى سكتى صديقى . المشكلة هى انى أحب الشمس ولا أستطيع أن أتزوجها (ضحك) وأن الشمس تحب القمر ولا تستطيع أن تتزوجه (ضحك) ولذا ندور نحن الثلاثة فى فلك مستحيل .

الفتـــاة : (تتنهد بحرقة تمثيلية) آه ! (ضحك)

عجيب : ورأيى أن حبا مستحيلا خير من حب ممكن · ذلك أن الحب الممكن الى زواج ، والزواج الى عناء ومناهدة ونكد · ثم يجيء الأطفال وهم مشكلة ، يحملون اسم أبيهم دون حكمته ، وحمق أمهم دون جمالها · وكلما كبروا يدفعون أباهم نحو هاوية الشيخوخة بينما تجهز أمهم عليه · لذلك فالفراشة أعقل من كل بنى الانسان · من كل بســـتان زهـــرة !

الأول : نحن على دين الفراشة !

ســـالم : فتنهدت حتى انخلع قلبها ، واحترقت بلهبها وسقطت كومة رماد ·

أصـوات : آه !

ســـالم : عالم موحش ، وانسان وحيد !

عجيب : لو قدر للانسان أن يختار غير مصيره فيصبح شــجرة (يقف كالشجرة) أو صخرة (يتكوم كالصخرة) أو طيرا نطاطا (يقفز فى خفة) أو حفنة رمل تتساقط (يتهافت)· أو لو كانت الشجرة تستطيع أن تختـــار غير مصيرها فتصبح انسانا يتكلم ويلوح (يلوح بذراعيـه فى حركة ميكانيكية وهو يقلد حفيف الشجرة) أو تصبح الصخرة طيرا نطاطا (يقفز قفزات ثقيلة وهو متماسك الأعضـاء) لكانت الدنيا أدعى للضحك ·

الفتـــاة : اختار لك أن تكون دودة ·

عجيب : أنا دودة · (يمثل مشية الدودة) الأولاد يرثون العرش والمال والمتاع وأنا أرث الملك نفسه ·

الفتـــاة : ما افظعكم · بشر بلا ضمير ·

عجيب : أيمكن أن يكون رجل بلا ضمير ؟!

ســـالم : أيمكن أن يكون ضمير بلا رجل ؟!

عجيب : أهما نفس الشيء ؟

ســـالم : اسأل النجوم !

عجيب : (من الشباك يصيح) أيمكن أن يكون ضمير بلا رجل ؟

ســـالم : اسأل الصخر ·

عجيب : (يركع ويصيح للأرض) أيمـكن أن يكون الضـــياء ولا تكون الشمس ؟

ســـالم : اسأل ظهرك لبطن ·

عجيب : (يجأر وهو يدور حول نفسه) أيمـــكن أن يدوم حب بلا زواج ؟! (يقع) سيدى · وقعت ·

ســـالم : اعلم أن الكون يعبث بك · ومعنـــاها أنه يتحداك ، فلنحطم العالم ولنمزقه شذر مذر حتى يجيب على سؤالنا ·· ولكننا سنؤجل ذلك الى حين عودتى · أصدقائى لا تناموا حتى أعود ·· (يخرج) ·

الأول : أين ذهب ؟

عجيب : هذا موعده للتدريب على الســـلاح مع أخيه الملك · انظروا بأنفسكم ·

(يتجمعون عند الشباك بينما يتقلم هجـرس جانبا من جليلة فى أسفل يمين المسرح)

هجرس : أكان عمي مجنونا ؟

جليلة : (يدها على فمها) شش . انتظر .

(ترفع ستارة الوسط فجأة بينما يختفي الشباك والناظرون من منزله . الآن نحن في حديقة قصر كليب . الأعمدة تحولت الى اشجار امام السماء الصافية . فراش الأريكة اختفى لتصبح مصطبة مسترسلة من المستوى الأوسط المرتفع وتتصل بالمستوى الأدنى بدرجتين . سالم وكليب يتبارزان)

كليب : خذ بالك ! (ضربة سيف يفلت منها سالم) أنت شديد الحذر .

سالم : لا تجاملني وأنت ملكي .

كليب : وددت لو ذراعي في قوة ذراعك .

سالم : ذراعك أقوى .

كليب : لا أعرف ماجنا منافقا مثلك .

سالم : خذ بالك !

كليب : أخطأتني ، ولكن عن عمد .

سالم : لا أكاد أرى من سهر الليلة الماضية .

كليب : تمرست بالسيف بما يكفيني لأعرف قوة خصمي .

سالم : لست خصمك .

كليب : ومع ذلك تبغضني .

سالم : بل أحبك .

كليب : تحبني لأنك تبغضني .

سالم : وأنت ؟

كليب : أبغضك لأني أحبك .

سالم : لقمان الحكيم يعجز عن حل هذا اللغز .

كليب : أنا رجل واجب والتزام ، وأنت رجل صعلكة وتحلل .

سالم : ألهذا أحبك أم لهذا أبغضك ؟

كليب : تتطلع الى فتحسدني ، وتستمد من كمالي شرفا .

سالم : عندي شرفي الخاص .

كليب : ما هو ؟

سالم : أن أصنع ما أشاء .

كليب : خذ بالك !

سالم : غلبتني .

كليب : هكذا تقول .

سالم : الى الحقيقة اذن .

كليب : الحقيقة اني أحبك ، ولا يعجبني مجونك ، فأبغضك لأني أتمنى لك الكمال . اسأل نفسي : لم لا يكون أخي مثلي ؟

سالم : لا أستطيع .

كليب : لذلك أخشاك .

سالم : أنا ؟

كليب : اقتضابك يخيفني . أفي قلبك شيء ؟

سـالم : حبك .

كليب : الا تطمع فى شىء أملكه ؟

سـالم : حبك .

كليب : أما كنت تود لو تجلس مكانى ؟

سـالم : أنا بك مكانك .

كليب : والعرش ؟

سالم : العرش ، والكأس زيادة .

كليب : أعندك وفاء ؟

سالم : عندى وفاء وحشى .

كليب : لمن ؟

سـالم : للدم .

كليب : الدم يتلاطم فى العرق الواحد .

سالم : نحن أقل من الواحد .

كليب : ولكنى فوق عرشى وحدى .

سـالم : بل أنت بأخيك أكثر .

كليب : ليتنى كنت أقل . فالأقل أسلم .

سـالم : أنت أقل وأكثر .

: ذراعك قوية ، عزمك قوى ، عقلك قوى . هل تصمد
... ة ؟

سـالم : امتحنى .

كليب : فى مقابل أى شىء ؟

سـالم : ما تقول .

كليب : ادعنى مرة لجلسة مجون يا عربيد .

سـالم : وزوجتك ؟

كليب : غلبتنى هذه المرة .

(يخرجان وهما يضحكان . تتقدم جليلة من فوق المصطبة ترمق الأخوين ثائرة الأعصاب ، خلفها وصيفتها تحزم لها رداءها) .

جليلة : انظرى اليهما يضحكان .

الوصيفة : لا تعكرى دمك يا سيدتى .

جليلة : آى . تؤلميننى .

الوصيفة : سامحينى .

جليلة : أخشى على حملى .

الوصيفة : سيكون فرحة للعرب .

جلية : اياك ان تتفوهى بكلمة عنه لأحد .

الوصيفة : عجبا لك . تخفين مثل هذا النبأ ؟!

جليلة : أخاف أن يكون بنتا .

الوصيفة : سيكون ولدا باذن الله .

جليلة : ولو · سيمنح عرشه لأخيه سالم ويحرم ابنى ·

الوصيفة : أهذا شىء يعقل ؟!

جليلة : هكذا قرأت العرافة حديث النجوم « سيلى أخوه عرشه من بعده ، ثم يلى ولدى »

الوصيفة : عرافة مخبولة ·

جليلة : يحبـه !

الوصيفة : أخوه يا ست الناس · ولكن الولد غير الأخ ·

جليلة : أخ ماجن وصعلوك ، يعربد تحت سقف بيتى ، ومع ذلك يحبه أكثر مما سيحب ولده · آه مما يطيل ليالى ويخيف أحلامى ·

الوصيفة : لا تعكرى دمك يا سيدتى ·

(تخرجان)

(تتغير الاضاءة · نحن الآن فى مكان بلا معالم · سالم وعجيب)

عجيب : أنا هو الشباك ، وأنت تطـل منى على العالم · عالم عاصف ! أغلق الشباك · مساء الخير ، تصبحون على خير · تراك · ظلام · (يرقد) ·

سـالم : معنى ذلك انك لن تتكلم بعد الآن ·

عجيب : سيدى · نا غرقت هذا الصباح فكيف يتكلم غريق ؟

سالم : أين غرقت ؟

عجيب : فى النبع · ملت لأشرب ، فرأيتنى فى القـاع أجتهد لأطفو ، ثم هويت بعينين مذعورتين ، وفقدت أثرى ·

سـالم : فما هذا الذى يخاطبنى ؟

عجيب : طيف خيال ·

سـالم : ولم لا يكون الطيف غرق هناك ، وأنت هو الماثل بين يدى هنا ؟

عجيب : ولم لا يكون العكس ؟

سـالم : واذن ؟

عجيب : أنا صـورة الرجل · أنا الرجل المزيف · أنا الطيف والخيـال · أنا حقيقـة الحقيقة وهى أقوى من الحقيقة · أنا لا شىء · ومع ذلك فأنا جوهر ذلك الشىء الذى كان الا أنه غرق وراح فى النبع صباح اليوم ·· (ينظر الفتاة قادمة) وعلى ذلك أخلى مكانى لمن هى أكثر منى فى اللحم والدم ··

(تدخل الفتاة · مرحة · تربط عصابة على عينى سالم وهى تضاحك)

الفتـاة : أنا جنية بير السـباع · كما بحثت عنك ابحث عنى · ان كنت حاذقا فأمسكنى (تصفق وهو يطاردها) ها أنذى ·· (تخرج ·· تدخل جليلة · تفاجـأ · تفكر · تحزم أمرها) ·

سالم : ان تحركت أنملة سأنقض عليك ·

(لحظة ، جليلة تصفق · ينقض عليها · يجذبها من ذراعها بقوة العابث فتصرخ بينما يرفع عصابته بيده الاخرى · فوجىء)

(تتغير الاضاءة · كليب على العرش وسالم بين يديه · جليلة واقفة خلف كليب تواجه قاع المسرح) ·

كليب : أتنكر ما قالته جليلة ، بنت عمك وزوجتى ؟

سالم : لا ·

كليب : كل كلمة ؟

سالم : كل كلمة ·

كليب : لكنك كنت معصوب العينين ·

سالم : تجاوزت حدود بيتى ·

كليب : أكنت ترى مواطىء قدميك ؟

سالم : كان أخلق بى أن أراها ·

كليب : ولكنها المرة الأولى التى تجاوزت فيها بيتك الى بيتى ·

سالم : لم أرفع عصابتى لأجد نفسى فى بيتك الا اليوم ·

كليب : أتعنى انك كنت تتجول معصوب العينين حيث تشاء ؟

سالم : لم يكن يحق لى التجول معصوب العينين ·

كليب : ولكن أحدا لم يرك فى بيتى على هذه الصورة قبل اليوم ·

سالم : لعل الخدم رأونى قبل فخافوا ولزموا الصمت ·

كليب : لم تكن تقصد شرا ·

سالم : ولكن سيدتى الملكة لحقها شر ·

كليب : واذن ؟!

جليلة : (تلتفت وتصرخ) عجبا ! تحاول تبرئته وهو مقر بذنبه ·

كليب : (يصيح) أما ترين أنه يخيب محاولتى ·

جليلة : لن أقول كلمة ·

كليب : ليس فى بلادى كلها مثله رجلا، هذا الأخ ، الصديق ، الفارس ، الرجل وأجدنى على رغمى واقفا ضده · هيبة الملك تفرض ضد ارادة القلب · ارحل عن مدينتى يا سالم سنة ، منفيا مشردا معذبا معاقبا على ما اقترفت وعد بعد تمام السنة بلا تأخير ، لأن أخاك سيقضى هو الآخر سنة موحشة ، منفيا فوق عرشه ، شريدا معذبا معاقبا على ما لم يقترف · اذهب ! (يده على كتف سالم) وحيد كل منا وأعزل، كجناح بلا رفيق ·

(تتغير الاضاءة · الآن هجرس يلاحق أمه أسفل المسرح) ·

هجرس : ولكنك أنت صفقت له بيديك · رأيتك تصفقين · تعرضت له ولم يتعرض لك · ·

جليلة : أما رأيته بعينيك يعربد فى بيتى · كان يترنح سكران فى دهاليز القصر ، ولعله كان يغازل الوصيفات · أهذه حياة الملكة ؟ !

هجرس : أجيبى ! رأيتك بعينى تنصبين له الشرك · لم ؟

جليلة : بسببك أنت ·

هجرس : أنا ؟ !

جليلة : كان ليسبقك الى عرشك .

هجرس : هــراء .

جليلة : أما رأيت بعينك كيف كان يحبه .

هجرس : يا لسوء الفعل ، وتفاهة الغاية . أمن أجل هذا أزمعت قتله ؟

جليلة : لم يقتله الملك .

هجرس : ولكن بهـذا بدأ كل شيء . حرمت أبى حارسه وسنده وسلاحه فأخليت الطريق لقاتله . هـذه كانت بداية كل النكبات .

جليلة : لا . فالنكبات بدأت فى موقع آخر .

هجرس : أين ؟

جليلة : فى مخدع التبع حسان ، الطاغية الذى اغتصب عرش جدك وقتله وطلبنى زوجة له .

هجرس : تصديتم له أخوة ورفاقا .

جليلة : نعم . ولا .

هجرس : ألم تكونوا معا ، أنت وأبى وعمى سالم وخالى جساس ..

جليلة : نعم نعم ..

هجرس : تكلمى . ماذا حدث تلك الليلة الخطيرة ؟

جليلة : ويحى ، فأنا الشاهدة الأخيرة على ما حدث .

هجرس : تكلمى .

جليلة : لما طمع التبع حسـان فى زواجى بالقهر خفنا وتظاهرنا بالخضوع ودبرت بنفسى مكيدة لقتله فى مخدعه . دخلنا عليه أنا العروس وكليب فى هيئة مضحكى وجساس وسالم فى صندوق ملابسى ..

(تتغير الاضـاءة . نحن الآن فى قاعة مختلفة التفاصيل . يدخـل الخدم يرفعـون العرش وينصبون محله سريرا ويضعون فى ركن المسرح قنديلا كبيرا ، وفى ركنه الآخر مشعلا صغيرا . فى أثرهم جليلة وحسان الأعزل من سيفه) .

حسان : مخدعك يا جميلتى .

جليلة : (تستدير بلهفة تمثيلية) مضحكى .

حسان : (يذعن بامتعاض) أدخلوا المضحك .

(يدخل كليب فى هيئة المضحك وبأجراسه)

جليلة : (بلهفة تمثيلية) وملابسى .

حسان : جئت لتخلعى لا لتلبسى . (ثم تعجبه النكتة فيضحك بوحشية حتى تصفو نفسه)

جليلة : (باسترخام) ملابسى .

حسان : (مناديا) والملابس .

(يدخل خادمان صندوق الملابس)

جليلة : (باضطراب) أغلق الباب لا يرانا أحد . (تكشف وجهها على سبيل اغرائه بذلك) .

حسان : (يرتج عليه من جمالها) يا ضياء الجنة .

جليلة : (تقترب منه) أغلق الباب لا يسمعنا أحد ·

كليب : اغلقوا الأبواب جيدا ·

(الأبواب تغلق على الجانبين)

جليلة : (تتنهد) مولاى تسل بمضحكى حتى أفتح صندوق الملابس ·

(تتوجه الى الصندوق فى قاع المسرح ، تعمل على فتحه بينما يواجه حسان وكليب كل منهما الآخر ويناوره على سبيل المداعبة ويضحكان · تفتح جليلة الصندوق يخرج جساس وسالم ، فيتحرك الجميع بسرعة · كليب وجليلة يغلقان مزلاجى البابين · سالم وجساس يحاصران حسان الذى يحتمى بركن المسرح · يسلم سالم أخاه سيفا) ·

حسان : فخ·امرأة !

جليلة : (تخفى وجهها) عجل يا كليب فما أطيق النظر ·

كليب : قتلت أبى واغتصبت ملكه ، وأذللت العرب ··

حسان : خذ ملك أبيك وامنحنى حياتى ·

كليب : وحياته أيها القاتل ؟!

حسان : ثروتى وجواهرى زيادة ·

سالم : نقتلك بما تستحق لا بما نطمع فيه ·

حسان : (تنتابه حالة جنون وحشية) هل اتفقتم من منكم سيطعن فى المقتل ؟ الذى يقتلنى سيحق له عرشى ، فتسابقوا الى ! واحد سيفوز بكل شىء والآخران يحسدانه حتى الغدر · الى الى يا سباق الظلام !

(يحطم بقبضتيه القنديل · ظلام · جليلة تسرع الى المشعل · هرج · تحضر جليلة المشعل · على ضوءه يتكشف المشهد : حسان مقتولا)

جليلة : نجونا · ارفعوا الرايات والبيارق · نجونا ·

كليب : انتظرى · سنتحقق أولا من منا قتله واستحق العرش ·

جليلة : أيعقل هذا ؟ ! قضيتك ومكيدتى · وهذا أخوك الأصغر ، وذاك أخى الأصغر ، العرش لك · عرش أبيك ·

كليب : لا لا · فى الأمر شىء ·

سالم : أخى وملكى · هذا سيفى ولاء لك ·

جساس : مع أن الغرفة كانت مظلمة فاننى ··

كليب : (مقاطعا) عندى ما يجب أن أبوح به ·

جليلة : تكلم ثانيا يا جساس ·

جساس : أنت أختى وكليب ابن عمى ، سيفى له ·

كليب : لا بد أن أتكلم · اننى لم أطعن معهما · دهانى الظلام فارتعدت ولم أتبين طريقى · أنا آخر من يستحق العرش ·

سالم : لا يهم ·

جليلة : بل يهم · تساوى اثنان ، سالم وجساس كل منهما طعن بسيفه واستحق العرش ، هل نجعل الحكم مثار نزاع بينهما ؟ أنت لم تساويهما · ستحكم وليس على يديك دم · أما أنت ، أو فليتقاسمه ولدا العم ·

سالم : قبلت مقالة جليلة ·

جساس : (بعد لحظة) وأنا قبلت .

جليلة : نجونا اذن ، آخر الأمر ..

كليب : أتعشم .

(تتغير الاضاءة . في المستوى الأدنى للمسرح بوابة قصر كليب . جساس وهمام في طريقهما داخل القصر)

جساس : ارتقى عرشـــه فوق ســاعدى أنا . الناس تحنى له رؤوسها من هيبتى ، تدين له بزعامتى . ما يكون هذا الملك الرخو ، أو أخوه الماجن الا بنا ؟ ومع ذلك فأى شىء صار لنا فى بلادنا ؟ نضع سلاحنا فى الحديقة قبل المثول بين يديه !

همام : جساس . حذار .

جساس : يغدق علينا « بكرمه » من طعـــامنا . أفنربط بهباته من أمعائنا كما تربط البهم بالأوتاد ؟

همام : أخى حذار ، الحذار .

جساس : الا أننا يتعين علينا كأمراء ، أن نبدو كالسادة فى قومنا ، نمنح ونغدق ونأسر قلوب الأعوان والأتباع ، وهذا يقتضى الثروة ، ولا ثروة الا ما يتصدق علينا به ابن عمنا الملك . وهذا يشبه أربطتنا الى أوتاده شدا يكاد يخلع أعضاءنا ويمزق كبرياءنا ..

همام : جساس . لا تطع حسد النفس ، حذار .

(يدخلان من فتحة بجانب البوابة . تدخـــل سعاد ، عمياء يجرها سعد)

سعاد : أشعر أننا وصلنا .

سعد : لم نصل بعد .

سعاد : (مستريبة) ألسنا فى المدينة ؟

سعد : نحن فى الصحراء .

سعاد : ألسنا أمام القصر ؟

سعد : نحن فى واد بلا زرع .

سعاد : ألا تخفق راياتهم المشئومة متباهية فى الهواء ؟

سعد : ليس فى الهواء سوى جوارح الطير .

سعاد : (تقبض عليه بقسوة) تكذب يا أخس الأزواج .

سعد : آه !

سعاد : أنا أشم رائحة طعامهم .

سعد : أنا مزكوم .

سعاد : أسمع صخبهم وزياطهم بأذنى .

سعد : أنا أصم !

سعاد : وأرى . فان كنت حرمت نعمة النظر ، فلم أحرم نعمة البصر .. أرى .. ظلامهم !

سعد : أخاف عليك وعلى نفسى منهم .

سعاد : أتذكر هذه المدينة يوم تزوجتنى وأخى حسان على عرشه ؟

سعد : أذكر .

سعاد : كيف كان أخى حسان ؟

سعد : ملك الزمان ·

سعاد : كيف كان شُوارى ؟

سعد : ألف جمل ·

سعاد : وعبيدى ؟

سعد : بكرٌ وتغلبٌ ·

سعاد : وثبوا عليه بالخديعة · لم يكن فى الدنيا رجال كرجاله ، أو جواهر كجواهره ، أو سطوة كلفتة عينة ·· فكيف بنا الآن ·

سعد : الجوع والهوان ·

سعاد : والحقد · أسقط رُكننا · الحقد ·

سعد : لم تعد لنا قُوةَ على النضال ·

سعاد : فطف بنا حول القصر الملعون نجرر ذيول المقت ، ونُلقى فى منافذه جفانَ الظلام ··

سعد : أرى قادما ··

سعاد : من ؟

سعد : جساس ·

سعاد : هُو من أطلب بالضبط · اختبىء أنت ودعنى أتقدم ·

(يختبىء بينما تنسحب بوابة القصر فاذا نحن فى الحديقة على اليمين تكعيبة عنب وفى الخلف أشجار · سعاد تعترض طريق جساس المقبل من ناحية القصر)

سعاد : السلام عليكم يا ملك العرب ·

جساس : لست ملك العرب ، وعليك السلام ·

سعاد : اذن فتكرم وقل لسيدك ومولاك عرافة بالباب تطلبك ·

جساس : (غاضبا) سيدى !

سعاد : لا تغضب فان لم تكن الملك ، فأنت خادمه ·

جساس : سليطة وعمياء !

سعاد : أو لعلك لاعبُ النرد الذى يسليه ، (تتحسسه) ولكن ما أحسنَ ملابسك ·

جساس : أغربى يا عجوز النحس · (يضربها) ·

سعاد : لا لا · قبل أن تقتلنى يجب أن أبلغ الملك ··

جساس : تبلغينه ماذا ؟

سعاد : أنه خالف النجوم ، فالنجوم ضده ·

جساس : كيف كان ذلك ؟

سعاد : نعم · فلم يكن سَيفهُ الذى قتل التُبع بل سيف جساس ابن عمه ·

جساس : واذن ؟

سعاد : قالت النجوم ، سيقتله جساسٌ ويسترد عَرشَهُ · خذنى للملك ·

جساس : ماذا قلت ؟ !

سعاد : ما سمعته .

جساس : عرافة أنت ؟ !

سعاد : اقرأ حديث النجوم بلا خطأ .

جساس : من أين أقبلت ؟

سعاد : من بعيد .

جساس : أيعرف أحد نبوءتك ؟

سعاد : لا أحد إلاك .

جساس : (جانبا) أن بلغته النبوءة قتلنى فى ساعته .

سعاد : خذنى للملك قبل أن يفوت الوقت .

جساس : لن تذهبى لأى مكان فأنا جساس .

سعاد : ويلاه ! أى خطأ !

جساس : اخفضى صوتك .

سعاد : يا للمصيبة !

جساس : امسكى لسانك .

سعاد : هكذا النجوم شاءت ودبرت أن تبلغك النبوءة قبل الملك . حكمة فظيعة . راحت مكافأتى وحلوانى .

جساس : اسكتى . أنا سأكافئك . كونى ضيفتى .

سعاد : كنت أتطلع لهدية ملك .

جساس : أطلبى ما تشائين .

سعاد : وما أطلب من جساس .. جوهر ؟

جساس : لك ما تطلبين ، ولكن لا تسرفى ، فلست الرجل الثرى .

سعاد : حماية ؟

جساس : وحمايتك الا ان تحرشت بكسرى أو قيصر ، فلست بهذه القوة .

سعاد : حبة عنب .

جساس : أأنا فى نظر الناس بهذا الضعف ؟ !

سعاد : ذلك انك لا تعرف يا مسكين ما عند ابن عمك .

جساس : أنا أمير البكريين جساس .

سعاد : تعرف ما يبلغه ذراعك أن مددته الى أقصى ما تستطيع ؟

جساس : أعرف من أنا .

سعاد : اذن فعنقود عنب . أشم رائحته وأشتهيه .

جساس : أولا يبلغ ذراعى ان مددته الى أقصى ما أستطيع عنقود عنب ؟

سعاد : مرنى أقطف .

جساس : اقطفى .

(تشـد التكعيبة وتخربها عمدا . يدخل البستانى . يهجم عليها ..)

البستانى : ماذا تفعل اللصة . أمسكتك !

سعاد : (تلطمه) أنا فى حمى الأمير يا أنجس العبيد .

البستانى : آه ! حطمت العنبة التى يحبها دولاى .

جساس : (ضاحكا) خل عنها يا ولد .

سعاد : (تلطمه) أسمعت ؟

البستانى : آه ! الحقونى .. (يجرى مبتعدا)

(يدخل كليب بيده عصا وبيده الأخرى على كتف يمامة)

كليب : ما الذى يجرى هنا ؟

جساس : امرأة فى جوارى يا ابن العم اشتهت العنب وأذنت لها فضربها خادمك .

كليب : لم تقطف عنقودا . خربت العنبة .

جساس : لم تتعمد ذلك .

كليب : اقتربى يا امرأة .

سعاد : (تصيح) لن أقترب منك يا طاغية !

كليب : اهربى بجلدك اذن . **(يضربها بالعصا)** .

سعاد : (تجرى) وابنى بكر ! ذُلت ضيفتكم ! الذل لكم ! ..

جساس : أتضربها وهى ضيفتى ؟ !

كليب : انتق ضيوفك ، ولا تكثر الكلام .

جساس : أتضربها بالعصا ؟ !

كليب : ابتعد فورا .

جساس : أتضربها ؟ !

كليب : **أخرج يا جساس** .

جساس : **أتضرب ضيفتى ؟ !**

كليب : **(يدفعه بالعصا)** ابتعد !

جساس : صدقت المرأة ، لا يبلغ ذراعى أن مددته لأقصاه حبة عنب . ادخلى البيت يا يمامة !

كليب : ابقى .

جساس : **الى السلاح اذن** .

كليب : **لا يمتشق الملك سلاحه للصوص الحديقة** .

جساس : **وإذلاه !**

يمامة : أبى .

جساس : ابتعدى يا بنت .

كليب : ابقى .

جساس : اذن فلا حوار الا حوار الدم .

(يهجم عليه بالخنجر يطعنه ، تصرخ يمامة . يترنح كليب . يهرب جساس مذعورا الى ركن المسرح) .

كليب : (ليمامة) لا تبكى . تماسكى . ليست الا عضة فأر ! اسقنى شربة ماء .

يمامة : (تجرى نحو القصر) قتلوا أبى .. النجدة ! قتلوا أبى ..

(صمت . يستريح كليب على حجر ويخرج جساس ثم يتدفق الناس من كل اتجاه . ينظرون من بعيد حول المسرح فى خوف . تتقـدم جليلة بكاس ماء من القصر وخلفها يمـامة تجرى الى ابيها) .

جليلة : من الخائن ؟ ! (لكليب) زوجى وابن عمى وحبيب فؤادى .

(تقدم جليلة الكاس . يضرب كليب الكاس بظاهر يده فتسقط . تفزع جليلة . ترتمى يمامة فى حضن ابيها الذى يتحامل على نفسه ويقف مستندا على كتف يمامة) .

كليب : أخى سالم . يا أمير تغلب من بعدى . قتلت غيلة . لا تصالح على دم أخيك بامرأة وكاس . لا تصالح على دم أخيك بمال أو جوهر . لا تصالح على دم أخيك بدم رخيص اثم . بحق شكة سلاح الخائن فى قلبى ، لا تصالح . بحق ما سقط الملك فى التراب ، لا تصـالح . بحق قبضـة الأم التى تسحقنى ، لا تصالح . أرق دما وأهتك ومزق ودمر وأبد ، لا تصالح . حرق قلوبهم كما حرقوا قلب يتيمتى ، لا تصالح . اسحقهم بأحر الغضب وحشيش الحزن وكل الضـياع ، لا تصالح . لا تصالح . استغفر الله . الملك لله . أوصيك باليتيمة ، وأن تعرف ثمن أخيك . أيها الأحباب والأعـوان والحجاب والجند .. أين ملكى ودولتى وصولتى الآن . تبا لكل زائل يزول .. ثم لا شئ .

(يسقط . هرج) .

(تتغير الاضاءة . يسقط فى المستوى الأوسط الجبل بشعبه المخيفة . الوقت غروب . سـالم وعجيب وندماؤه . صخب وايقاع موسـيقى وحشى ورقص غير منتظم) .

صوت : (بعيد من الخارج) سالم !

عجيب : تامل يا سيدى هذا المنفى الجميل . شجرة ونبع . ظل وماء وخمسة دنانير تكون الملك الى اقصى ما ترى من قفار بلا شجر .

الصوت : (أكثر اقترابا) سالم !

عجيب : وأخشى ما اخشاه ان يعفو اخوك عنا ، فيتبدل بنا الزمن ، ونرجع لغم القصور . الا يمكن أن نغضبه آكثر ؟

سالم : تغضبنى ؟

عجيب : لا . الجنة تحت ذراعك فلا أغضبك ..

الصوت : (الآن واضح جدا) سالم . سالم . أميرى سالم .

سالم : (يقفز) من الهاتف فى الليل . بشير أم نذير !

(يضطرب الجمع . تتوقف الموسيقى . يخرج سالم ، يرقبه عجيب . سكوت كامل .. ثم يدخل سالم مترنحا) .

سالم : آه ! يا لدمعتين !

(الآن يضع هجرس وجهه فى يديه ويجهش بالبكاء فى أسفل يسار المسرح بينمـا جليلة تشيح بوجهها فى ألم فى أسفل يمين المسرح) .

« ستار »

الفصل الثاني

فى القضية ، ولكن قتل كليب لا أدعيه · قتل كليب بحقد أبن عمه لا بحقدى · غدره جساس ، لم أغدره أنا · ستقولون ان يدى طعنت كان سلاحى أخوكم وابن عمكم · لا · فليس الأمير جساس بالنصل الأصم · انه رجل وقد أضمر القتل قبل أن استنفره · اتهموا بجرائمكم ابليس الذى يحرض ما شاءت لكم عزائمكم الضعيفة ، لكى تناموا آخر النهار بضمائر كذابة مستريحة، أو لتنزهوا من تحبون عن الأحقاد وانتفاضات الغضب الشرير ونداءات الخيانة وسوءات الشره ·· اعلموا ان لا ابليس الا قلب الرجل اذا اشتهى ما ليس له · شيطانكم أخوكم وابن عمكم · ابليسكم أخو جليلة وابن مرة ·· لا أنا · نح يدك وأفسح الطريق ، فقد انتهت لعبتى ·

هجرس : دعها تمر ··

جليلة : أتخلى سبيلها وقد جاءت بقدمها الشريرة !

سعاد : (تتلفت بأذنها وتضحك عاليا وهى تخرج يقودها سعد) ·

(لحظة ترقب)

هجرس : هكذا انطلقت المأساة اذن · وتفجرت الأحقاد وتدفقت الدماء · ألم يكن فى وسع أحدكم أن يصد الطوفان ؟ أن يقيم الجسور ؟ أن يدفع ذلك الخراب الشامل ؟ ألم يكن لأحدكم الحكمة أو البرء من الضغينة فيفطن الى ما سيعم البلاد من دمار وفوضى وموت ؟ أنت أيها الشيخ ··

مرة : وهل قبل عمك ما عرضنا عليه ؟

هجرس : أعرضت عليه دية ؟ اعرضت عليه القصاص من المجرم ؟ أعرضت عليه ما يشفى غله ؟ أم أنك آثرت أن تحمى القاتل بمظلة أبوتك ؟

مرة : بل كان جساس يعلم انى أسلمه للقصاص لا محالة، فهرب وانطلقنا الى الأمير سالم نسترضيه ونعرض عليه ما فى طاقتنا ليشفى غليله ·· فماذا طلب ؟

جليلة : ماذا طلب ؟ !

هجرس : ماذا طلب ؟

(تتغير الاضاءة · نحن فى قاعة العرش نفسها · سالم على الكرسى جنب العرش ويمامة على الكرسى الصغير الى أقصى يسار المسرح · امراء تغلب وبكر كلهم وقوف ، بينهم جليلة واسما ومرة وهمام ··)

مرة : أيها الأمير العظيم سالم · يا ابن أخى · ان كنا جئنا نعزيك ، فنحن أيضا نحتاج العزاء · وقد كان الملك كليب درة هذا الشعب كله ، وفارسه الحكيم · الا أن أمرا لا بد من تسويته الآن · فالجانى ولدى ، ومع ذلك فقد نبذته كأحقر الأعداء · ونحن أبناء عمومتك من بنى بكر نرضى بما تفرضونه من تسوية · لقد هرب المجرم ، ولكننا ان تعاونا سويا بروح الاخاء سنعثر عليه ونقدمه للقصاص العادل · أفيرضيك هذا ؟

سالم : السؤال ليمامة ·

مرة : (يتوجه ليمامة) ابنتى الحبيبة · أفيرضيك هذا ؟

يمامة : أريد أبى حيا ·

مرة : لك رقبة جساس ·

سالم : (يصرخ) ألم تسمع ما قالته اليتيمة ؟ !

مرة : (بتوتر) سأدفع ما تشاءون · ألف ناقة · ما تريدون · أفيرضيك ··

سالم : (مقاطعا) تكلم مع يمامة ٠

مـرة : ألف ناقة ٠ ألفان ٠ ما تريدين ٠

يمامة : أريد أبى حيا ٠

مـرة : سأعرض رقبتى أثنين من أولادى ٠ اختاروا من تشاءون من بين أولادى ، مع الألفى ناقة ، وحياة جساس ٠ أفيرضيك هذا ؟

سالم : لتتكلم اليمامة ٠

يمامة : أريد أبى حيا ٠

مـرة : الجنون اذن مس هذه الأسرة ، بعد الشقاق والقتل ٠ الجنون !

سـالم : بل العقل ٠ أسأل يمامة ٠

جليلة : ابنتى ٠٠

يمامة : ابتعدى يا أخت جساس ٠

جليلة : يمامة !

يمامة : أنت التى فتحت الباب للقاتل على مصراعيه ساعة طردت عمى ٠

جليلة : ابنتى !

يمامة : بكرية !

جليلة : حبيبتى !

يمامة : فلتخرج مع أهلها من قصر أبى والى الأبد !

جليلة : جنت البنت !

سالم : أسمعت ما قالته بنت الملك ؟ !

جليلة : آه ٠ كم مصيبة تترصدنى بعد هذا اليوم ؟ ! (ترتمى فى صدر أبيها) أبى ٠

مـرة : فلينطق صوت عاقل فى هذه البرية ٠

سالم : هذا هو الصوت ٠

مـرة : سنلدفع كل ما نملك فى سبيل السـلام ٠ أرواحا ومالا وسلاحا ٠ تكلم يا صاحب الثأر ٠

سالم : كليب حيا ٠ لا مزيد ٠

مـرة : والا ؟

سالم : فالحرب !

مـرة : وما نهايتها ؟

سالم : الابادة !

أسما : أتعى ما تقول ٠٠ أتعى ما تقول ٠ فأين أكون وأنا تغلبية بأبى وبكرية بزوجى وولدى ؟ أين أقف يا أخى سالم ؟ !

مـرة : كن عادلا ٠

سالم : قد عدلت ٠ خذوا جليلة فى ركابكم ٠

(يتغير الضوء ٠ تسقط فى المستوى الأوسط شعاب الجبل ٠ جساس وحده)

جساس : هنا ، لن يعثروا لى على أثر ٠ قاتل ابن عمه وعدو أهله ٠ طريد ضعيف يقطر بالندم ٠ الطاعن من خلف ٠ الخائن ٠ الخائف الى حد الموت ٠ وكنت سيد قومى ٠ يا عار بكر ! (ينتبه ٠ أصوات) اذن بدأ المطراد ٠ لن ينـالونى الا بعد سقوط أفضلهم ، (يظهر قوسه وسهامه) أخ أو ابن عم ٠ الآن انتفض يا قلب وأثبت يا ذراع، فليس فى الدنيا غير أعداء وطالبى الأمير جساس ٠ (يطير سهما) قف يا من هناك أو

مت • (يختفى فى شعاب الجبل بينما يدخل همام وسلطان حذرين) •

همام : جساس لا تطلق سهاما واستمع لما نقول •

جساس : (من الخارج) ان اقترب أحدكما أرديته ••

سلطان : (لهمام) لن يصدق أبدا •• ان كنت أنا لا أصدق •

همام : جساس اقترب وافتح أذنيك •

جساس : (من الخارج) الق سلاحك •

همام : يحسن أن نطيع • (يرميان سلاحهما) •

سلطان : ها هو سلاحنا • انزل •

جساس : (من الخارج) الى الوراء ••

(يتراجعان الى اليمين بينما يدخل جساس مصوبا سهمه اليهما) •

جساس : الآن ما بالكما ؟

همام : أبوك يدعوك •

جساس : ليسلمنى ؟

سلطان : بل لتسودنا • فقد رفض سالم كل مصالحه ، وستقع الحرب •

جساس : (بلهفة) حقا ؟ !

همام : ما يقول أخى • ستقع الحرب •

جساس : (بتهكم) اخرجوا اليها اذن •

سلطان : وانت على رأسنا ؟

همام : أبوك قرر القيادة لك •

جساس : (لحظة ثم يضحك فى هستيريا) يا أنذال • لم تجدوا سيدا يقودكم غير جساس ••

سلطان : أمامنا أيام شديدة •

جساس : اذن فقد احتقركم ومرغكم فى التراب ورفض رقبتى التى بذلتموها له بكل سخاء ، ثم أصبح لا مفر لكم من الالتجاء لفارسكم وبطلكم • ولكن اعلموا أيها الخونة انه احتقركم لأنكم تسلمون أخاكم له ، وكان هو أكثر برا بأخيه • واعلموا أن أخاكم لن ينسى أبدا انكم عرضتم عنقه على خصمه • عنق جساس أفرسكم وأرفعكم رأسا • مرحبا بالحرب والسلاح • سأذل تغلب • ولن أنسى بكر • سأذل سالم ، وسأذلكم • أفترضون بى الآن سيدا وطاغية ؟ ! •• (يضحك بوحشية) •

همام : لا يصح أن تقول ••

جساس : (يقاطعه مستنكرا) نعم • نعم • نعم • نعم • بالأمس تبيعوننى واليوم تستنكرون أن أحتقركم ؟ !

سلطان : تحتقر أخوتك ؟ !

جساس : أو لم نكن أخوة وأنتم تبيعون ؟ !

همام : واذن • ما جوابك ؟

جساس : سأملى شروطى وهى كثيرة • ولن ترفضوا لى طلبا • (يعرك آذانهما) يا أوغاد • سنرى • سترون ما جوابى •

(تتغير الاضاءة •• تدق طبول فى الظلام ايقاعها يسرع • أصوات قتال تقترب • يضاء

المسرح فجأة اضاءة غامرة · فاذا فوقه لوحـــة ساكنة لمعركة حامية وقتال عنيف وقد اختفت معالم الديكور · تتغير الاضاءة ·· الوقت غروب · انسحب المقاتلون تاركين موتاهم · تندفع اسما بين المقاتلين تبحث عن زوجها · تجـــده · تصرخ) ·

اسما : يا زوجى وأخا قلبى !يا همام ! آه مما أصابنى ! آه ممن أصابنى ! خصمى وكان أخى ، عدوى وابن أمى وأبى · مجرم زنيم · قتال أخيه · سفاح البرية · سالم !

(يبدو سالم فى عمق المسرح شبحا فى الضـــوء الخافت وحوله فرسانه)

سالم : من أنت ؟

اسما : أتعلم أنك قتلت زوجى وأبا أولادى ؟ انك قتلتنى ؟

سالم : تتحدثين عن همام البكرى ؟

اسما : انك مزقت كبد أختك ؟ أكنت تعلم ؟

سالم : كبدك البكرى ، أما كبدك التغلبى ، وهو الأفضل ، فقد مزقه أخو زوجك ان كنت تذكرين ·

اسما : (ترفع ذراع جثة همام) زوج أختك ، أخو زوجة أخيك ، ابن عمك ، خال بنت الملك ·· أتذكر أنت ؟

سالم : هراء !

اسما : أتعلم أن سيفك يضرب فى لحمك ، أن دمك ينزف على رمحك ؟ !

سالم : نزف الدم الأفضل وما بقى أرخص من أن نتصايح عليه · اذهبى الى بيتك ·

اسما : أى بيت ؟ قد صار بيت أبى حربا على بيت أولادى ·

سالم : اذهبى ··

اسما : يا للاجرام ! فليمت كل حامل سلاح بسلاحه ! ويلك منى سأنتقم منك · ويلك منى ! سأنتقم منك ··

(خدمها حملوا الجسد وخرجت خلفه بينما بقى ثلاثة فرسان تغلبيين وانسحب سالم فى الظل)

الأول : أين يذهب بعد كل معركة ؟

الثانى : تسألنى ؟

الثالث : ما شأننا · يرتقى الجبل ·

الثانى : لعله يستروح النسيم البارد فوق ·

الأول : فى القمة ؟ !

الثالث : أعرف منا بطريقه ·

الأول : لم لا نصحبه ، لنرى ·

الثانى : لقد انتصرت ، وحقت لى العربدة ·

الثالث : أتشرب معى الى الكأس العاشر ؟

الثانى : (باحتقار) وما العاشر ؟

الأول : أيهيه !

الثالث : لعله يخاطب النجوم ·

الأول : (يضحك بوحشية) أشربت بعد ؟

الثانى : فكيف بك بعد العاشر · (يضحك) ·

(يخرجـون ··)

(تتغير الاضاءة · نحن فى مكان بلا معالم · سالم وشبح كليب على خلفية من سماء صافية كثيرة النجوم) ·

سالم : أخى ·

كليب : أنا أخوك ·

سالم : كم أنت غريب ! أتتألم ؟

كليب : فات أوان الألم ·

سالم : آه ، ليتك لتتألم !

كليب : فات أوان الألم ·

سالم : أى شىء أستطيع أن أقضيه لك ؟

كليب : لا شىء ·

سالم : (يطرح عباءته) استرح على عباءتى ··

كليب : لا قعود لى ·

سالم : آتيك بعرشك ؟

كليب : لا ·

سالم : رجالك ؟

كليب : لا ·

سالم : أتؤاكلنى ؟ (يضع يده فى كيس معلق على كتفه) ·

كليب : لا آكل لى ·

سالم : أحضر الراقصات والمنشدين ؟

كليب : لا ·

سالم : أروى لك أخبار مملكتك ؟

كليب : رأيت كل شىء ·

سالم : ما دهاك يا كليب ؟ حدثنى كما أحدثك · ان كان شىء يوجعك فحدثنى به كأخ مريض لأخيه السليم ·

كليب : لا تصرخ ·

سالم : تبغضنى ؟

كليب : لا أحب ولا أبغض ·

سالم : يتيمتك فى رعايتى ··

كليب : شكرا ·

سالم : لا شىء يرضيك ؟

كليب : يرضينى ما يشفينى ·

سالم : وما يشفيك ؟

كليب : تحت عرشى بقعة من دمى · اغسلها بماء رائق ·

سالم : من لى بمياه البحار كلها أجمعها فى كفى ·

(تتغير الاضاءة · نحن الآن فى مجلس جساس· قاعة فى عمقها كرسى يجلس عليه مرة صامتا · وخلفه الجانب الداخلى لخيمة عربية فاخرة · جساس وسلطان أسفل المسرح يتسامران) ·

جساس : (جانبا لسلطان) أيمكن أن يكون زار وادى الجن ، أن يكون تحالف مع الشيطان ؟! ·

سلطان : يقولون أنه كثير التغيب والاختفاء ·

جساس : لقد شعرت برمحى ينفذ فى جســده · اخترقه الرمح وعاد فى يدى لم تنزف منه قطرة دم · وأخى المسكين همام · لقد رأيتهما بعينى · كل منهما ضرب الآخر بالسيف على العنق · أحدهما مات والآخر لم يمت ··

سلطان : لعلك تتوهم ·

جساس : لا تتحدث بهذا الشىء أمام الرجال · شىء مخيف · لن أقترب منه ثانية أو أدفع طرف ســيفى اليه ، والا ذاعت القصة وخسرنا عزم الرجال ·

سلطان : صــه ·

(يلتفتان · تدخل اسما مهوشة الشعر ممزقة الملابس زائغة البصر · تقترب ببطء من مـرة · ترتمى تحت قدميه تغنى) ·

اسما : (بنبرة خفيفة هادئة) السماء رائقــة ، وقد انجلى قرص الشمس · زوج بأخ ، وأخ بابن عم · يالغرابة الصفقة ! ·

(تتغير الاضاءة · نحن فى مكان ما بالصحراء· شجرة عجفاء وحصان واقف تحتهــا · جليلة ترقب بحنان طفلا يتعلم المشى بمساعدة تابع · ثم تفتح له ذراعيها وتحتضنه بقوة) ·

جليلة : ولدى · أوحشتنى ·

التابع : سترين أن سيدى منجد بن وائل يرعاه كأعز ولد ·

جليلة : أيعلمه العلم ؟

التابع : ليس بعد ·

جليلة : أيركبه الفرس ؟

التابع : أحيــانا ·

جليلة : سيكون ابن كليب كأبيه ، رجل حكمة وسلاح ·

التابع : لا أراه يبكى كالأطفال أبدا ·

جليلة : (بانزعاج) اياك أن تتفوه بكلمة وأنت فى حالة نشــوة أو ··

التابع : لست سكيرا ·

جليلة : حاذر أن يراه أحد خارج القصر ·

التابع : لا تخشى ·

جليلة : كيف لا ، وأنا أم · أم تعسة · هاجرة ولدها على رغمها ·

التابع : تأخرنا ·

جليلة : (فى قلق) أليس معك سلاح ؟!

التابع : لا أحمل سلاحا ·

جليلة : أتعرف ما يحوط الأمير من أخطار ؟

التابع : سيدتى ··

جليلة : ليس معى ما أعطيك غير ·· وآها لى ! ســيف كليب · سيف هجرس (تسلمه السيف) سيعرف الأمير منجد متى يعطيه ، وكيف يعطيه لولدى · كل ما بقى عنــدى من آثار

أبيه • أتعرف كيف تدفع به عدوا ؟

التابع : نعم • (يهم بالذهاب) •

جليلة : ابق بعض الوقت • (ثم تهمس بعزم) بل اذهب • واحذر الطريق •

(ينسحب التابع مع الطفل الى عمق المسرح حيث الحصان بينما تتقدم جليلة الى أسفل المسرح • يدخل هجرس)

هجرس : (هامسا) أهذا أنا ؟

جليلة : (ذراعها على كتفه) نعم يا ولدى • نعم •

هجرس : أما كان أحد يعلم بمولدى ؟

جليلة : قليلون ، مرة وأسما • جساس وسالم لم يعلما ، ولا الآخرون ••

هجرس : (يتقدم خطوة) ما أظرفه ! (ثم يضحك من نفسه) أأستطيع أن أراه عن قرب ؟ طبعا لا •• ومع ذلك يهفو قلبى اليه ••

جليلة : كم كنت جميلا •• لم تبك عيناك قط كسائر الأطفال ••

هجرس : وهذا خادمى ورفيقى الأمين • أعرفه • أكان يحملنى اليك كثيرا ؟

جليلة : أقل مما يطمح اليه قلب أم • ذلك أنى كنت أخشى عليك •

هجرس : كان الأمير منجد رفيقا حنونا • علمنى العلم والفروسية • كان أبا ثانيا لى • أحببته • (يصيح) حذار سيقع !

جليلة : (تشهق ثم تضحك) لا • ساقك قوية •

هجرس : اذن فقد كنت أنا ذلك الذى سيقع • آه !

(يتنهد فى انشراح كرجل يفيق من حلم)

(تتغير الاضاءة • يبرز فى الخلف ضريح كليب على سماء ذات نجوم • سالم ويمامة)

سالم : أى أخى وملكى كليب • قتلت فى ثأرك اليوم ألف مقاتل من أولاد العم ، لتعلم أنى لا أضمر برا ولا رحمة لأحد فى حقك • فهل شفيت ؟

يمامة : أفيهم ملك كأبى ؟

سالم : أخس الناس هم •

يمامة : أفيهم أخ لمثل الأمير سالم ؟

سالم : لا •

يمامة : أفيهم أب بار بابنته كما كان أبى ؟

سالم : لا •

يمامة : أفيهم ابن لمثل الملك ربيعة ؟ •

سالم : هم أولاد من سجد لقاتل أخيه ربيعة

يمامة : كان كليب أولى بهواء يملأ صدور الناجين من سيفك يا عمى •

سالم : سازهق أنفاسهم •

يمامة : وأولى بما يملأ عيونهم من ضياء السماء ٠

سالم : سأعمى أبصارهم ٠

يمامة : وبما يملأ مجالسهم فى المساء من أنس وبهجة ٠

سالم : سيكون الشوك مضجعهم والعذاب حياتهم والعار مماتهم ٠

يمامة : كم ألفا قتلت فى عشر سنين حرب يا عمى ؟

سالم : كثير ٠

يمامة : وكم ألفا ولدوا فى مضاربهم فى عشر سنين ؟

سالم : كثير ٠

يمامة : بعد كم سنة يحملون سيوف الظلم ؟

سالم : بعد قليل ٠

يمامة : فكم قتلت فى ثأر أخيك ؟

سالم : أقل من القليل ٠٠

يمامة : وهل يشفى أبى الا الكثير ؟!

سالم : فلتزهق أرواح الأطفال ٠ يا رجال تغلب ٠ الى ٠ الى ٠ الى ٠

(تتغير الاضاءة ٠٠ أصوات مختلطة ٠ نحن فى معسكر سالم ٠ اختفى الضريح وظهرت جوانب الخيام ٠ خدم وحراس ٠ يأتى رســول مسرع يلهث) ٠

الرسول : يا عرب ٠ تعالوا تعالوا ٠٠

أصوات : ماذا حدث ؟! ...

الرسول : حدث شىء عجيب ٠ شىء مدهش ٠ ذلك أن الأمير سالم المغوار فى ألف ألف فارس جبار اقتحم مضارب بكر ومدينتهم بقصد أن يذيق الموت أطفالهم وعيالهم ٠ فما صمدوا لهجمته الشجاعة الا أقل من الساعة ، ثم انهارت صفوفهم وتفرقت سيوفهم وهربت أبطالهم وتبددت رجالهم ، فانطــلق الأمير كالسهم الطائر الى بيوتهم بعزم حديد ورجال صناديد ، ففى لمح البصر كان بين نسائهم وشيوخهم يطعن فى الصغار ، ويتجاوز عن الكبار ، صرخت الأمهات ، وتصدت له النساء بعويل وزئير ولكنه كان يأخذ الخمسة بضربة سيف واحدة ، وكل رجل من رجاله وقع على بيت أباد صــغاره ٠٠ حتى صرخت أخته اسماء ،ويالهول عينيها ،تحمل على يديها رضيعا قتيلا وتصيح كالمجنــونة : « أين أخى الكافر ، أيــن أخى العربيد ! » فما أن رأته ورآها ، بصقت عليه ورماها بلسان لهب من عينه الساخطة وصرخت فيه : « ارفع ســيفك عن أطفالنا ألا يصيب ابن أخيك ! » فما سمع الأمير سالم مقالتها ، حتى كان الدنيا دارت برأسه ففقد السيطرة على فرســه ٠ وانطلق الفرس الجامح يدور حول نفسه كاعصار بقوة وعنف يائس ٠٠ واجتذب فى دورانه ألف فارس من حوله ، كأنهم كواكب شدت الى نجمه الدائر ، تدور وتدور معه ، كأن الجيش أصيب بالعمى ، أو انجذب بريح القدر ٠ ثم فجأة ، انطلق فرس الأمير سالم مصعدا الجبل بسرعة العاصفة وخلفه الجيش الصاخب ٠٠ الا أنهم لم يدركوه أبدا ويئسوا من اللحاق به فقرروا العودة الى معسكرهم وسبقتهم أنا لأحكى لكم هــذه القصة العجيبة والواقعة الفريدة ٠

أصوات : أيكون له ابن أخ ؟ كذبت اسما ! ما الحكاية ؟ ..

(يدخل فرسان على رأسهم الثلاثة فرسان التغلبيين رجال حرس سالم الزير)

الأول : يوم يربك العقل .

الثانى : لم يشأ أن يشرح لنا .

الثالث : وما شأننا بالشرح . نحن لنحارب ونطيع .

الثانى : لكى نفهم .

الثالث : ولم تريد أن تفهم ؟

الأول : لنشغل وقتنا .

الثالث : الخمر والرقص يروق الدماغ أما الفهم ..

الأول : اذن قدمهنا .

الثالث : (يصفق) الى بالراقصات والخمر .

(يدخل بسرعة الخدم ينصبون المائدة وتبدأ الموسيقى والرقص الصاخب)

أصوات : (بعد برهة) الأمير . الأمير .

(ينفض السامر . يدخل سالم مكفهرا يضرب الراقصة . يتراجع الجميع)

سالم : تعال يا غلام .

(يقترب منه الرسول)

الرسول : مولاى .

سالم : احمل هذه الراية البيضاء ، واذهب لمضارب بكر واطلب جليلة وبلغها أنى أقابلها صباح غد فى الوادى الكبير . وحدها ووحدى . اذهب .

الرسول : سيدى .

(يخرج بينما يدخل سالم خيمته)

الأول : ضرب البنت .

الثانى : ما شأننا . فليضربها .

الأول : كانت ترقص لى . أهاننى . اهانة لى أم لا ؟

الثالث : أهذا سؤال ؟

الأول : نعم . هل أهاننى ؟

الثانى : هو أميرك .

الأول : لا . لم يجلس على العرش .

الثالث : ولكنه الأمير .

الأول : يعيش على سيفى .

الثانى : وأنت تعيش على سيفه .

الأول : ولكنه أهاننى . أهاننى ؟

الثالث : ستصدع رأسك الفارغ .

الأول : لا . رأسى صلب .

الثانى : فلا تتعبه .

الأول : رأسى صلب ٠

الثانى : أتظن أنه أهانك ؟

الأول : كانت ترقص لى ٠ ما قولك ؟

الثالث : كيف أعرف أنا ؟

الثانى : أنا أعرف ٠ سأقول لك ٠ أيحق لك أن تلهو وهو متكدر ؟ وأمام خيمته ؟

الأول : هذا سؤال ٠ (يصرخ) أريد جوابا لا سؤالا ٠

الثالث : ارفع يدك عن سيفك ٠

الأول : لم ؟

الثانى : وفر جهـــدك للحرب ٠ أنت مقـــاتل ٠ لم توجع رأسى بالأسئلة ؟

الأول : لأعرف ٠

الثالث : أنا لا أعرف ٠

الأول : لا تعرف ماذا ؟

الثالث : لا أعرف عم تتكلم ٠

الأول : عن اهانتى !

الثالث : (يصفعه) هل أهنتك أنا ؟

الأول : هذا سؤال مؤلم ٠

الثالث : لكى تعرف يجب أن تتألم ٠ امش نجد لنا ما نتسلى به ٠٠

الأول : لم يجبنى أحد بعد ٠

(يتهيأ الثالث لصفعه ولكنـــه يعـــدل من اليأس منـــه ويخرجون)

(تتغير الاضاءة ٠ نحن الآن فى الوادى الكبير ، وقد اختفت الخيام ٠ يقترب سالم وجليلة كل من جهة ٠ يقفان بعيدا عن بعضهما لحظة) ٠

سالم : يا زوجة أخى وملكى ، عليكى الأمان ٠

جليلة : وعليك السلام يا بن العم ٠

سالم : أيطيب لك مقامك فى مضارب أعداء زوجك ؟

جليلة : اخوتى ٠

سالم : أتريدين الرجوع مكرمة الى بيتك ؟

جليلة : لا أعود الى بيت طردت منه ٠

سالم : أترينني أقسى عليك من كليب لو كان قد نجا ؟

جليلة : قتله أخى ، وأنت قتلت أخا لى ٠

سالم : اذن كملت الدائرة ٠

جليلة : كملت الدائرة !

سالم : سأطرح عليك سؤالا من حقى طرحه ، وأريد اجابة شافية من واجبك الادلاء بها ٠

جليلة : تكلم ٠

سالم : أكان فى أحشائك جنين حين غادرت ديارنا ؟ هل ولدته ؟ ذكر أم أنثى ؟ أين هو ؟

جليلة : هذه أربعة أسئلة .

سالم : أجيبى !

جليلة : اخفض نبرتك كما ينبغى لك . أنت بين يدى الملكة .

سالم : ليكن . أصدقينى .

جليلة : الجواب نعم . نعم . ذكر . أخفيته .

سالم : ولد لكليب ؟

جليلة : ولد لى .

سالم : أهو فى بيوتكم ؟

جليلة : ليس لى بيت .

سالم : فى بيوت بكر ؟

جليلة : لا .

سالم : أيعلم أن .. ؟

جليلة : (تقاطعه بحدة) لا يعلم شيئا .

سالم : ما اسمه ، ما شكله ، أيشبه أباه ، أيأكل جيدا ؟ أيعيش حياة ملكية ، أهو قوى الساعد والعزم ؟ ..

جليلة : لا جواب .

سالم : أتمنعينه عنا ؟!

جليلة : نعم .

سالم : لم ؟

جليلة : لأنى أدخره للحياة لا للموت .

سالم : من ؟! ابن كليب وصاحب ثأره ؟!

جليلة : نعم .

سالم : لقد ولد ليطلب دما .

جليلة : أنت تظن .

سالم : هذه حكمة الطبيعة .

جليلة : (تصيح) سأنقضها .

سالم : بأى حق ؟

جليلة : بحق ما أنا أمه وأبوه .

سالم : أنكرك أبوه وهو يحتضر .

جليلة : لقد سامحنى بعد ذلك .

سالم : لا . فأرادته منذ ذلك الحين فى قلبى أنا حامل وصيته . من خلالى أنا يسامحك أو ينقم عليك .

جليلة : سالم . لا تتجاوز أقصى ذراعك .

سالم : أنا هو كليب ، الأب والملك .

جليلة : ولكنك لم تجرؤ أن تجلس على العرش .

سالم : عرش ولده .

جليلة : لم تكن تعلم أن له ولد .

سالم : عرش كليب .

جليلة : كليب مات ·

سالم : أنت تظنين · أنه هو الذى يضرب بسيفى ·

جليلة : أتحسب أن فرسان بكر أعداء كليب ؟

سالم : أعداء من ؟

جليلة : أعداؤك · كانوا ليقدمون جساس لقصاص عادل · ولكنك أبيت وجعلتهم طلاب ثأر منك ·

سالم : ثأر من ؟

جليلة : تأثر من ماتوا بيدك ، اخوتهم وأبناء أبيهم وأحبائهم ·

سالم : كل من مات عدا واحدا نال ما يستحق ، والواحد يطلب حقه ·

جليلة : أنت تطلب المستحيل ، فكأنك تطلب لا شيء ·

سالم : انما أطلب كل شيء ·

جليلة : ويل ابنتى من جنونك ·

سالم : قدمى ولدنا ·

جليلة : لا ·

سالم : اذن اسمعى جيدا ما أقوله لك · لو أن سالم مات ، واليمامة ماتت ، وبادت تغلب ·· فكل حجر فى الصحراء سيعترض قدم الابن ليلقى عليه باسم أبيه وقصته · لا فكاك له من اتمام المسعى ·

جليلة : سالم · أتظن حقا أن ابادة بكر ستبعث كليبا حيا ؟

سالم : نعم ·

جليلة : أنت مجنون ، وكلما أوغلت فى الحرب ستزداد جنونا ·

سالم : لابد أن تتم العدالة ·

جليلة : وكلما ازددت جنونا ستزداد وحشية ·

سالم : آمين ·

جليلة : لقد نلت كفايتك من الانتقام ·

سالم : ليس الانتقام بنيتى ·

جليلة : ما بغيتك ؟

سالم : كليب حيا ·

جليلة : أيرجع الزمن ؟! أترتد الريح ؟!

سالم : حيث يكون سالم ، يحدث هذا مرة واحدة ··

جليلة : سالم · ما تقول عنى اليمامة ؟

سالم : لا جواب ·

جليلة : سلم لى على ابنتى ·

سالم : سأجد الولد ولو أخفيته فى السحاب · سأجده ·

جليلة : أكلمك عن ابنتى ·

سالم : ليس لك بنت ولا ولد · فقد خنت رحمك ·

(يخرج مسرعا)

جليلة : مجنونٌ وماجن ، صعلوك شقى ، قاتل وسفاح ، خرب القلب والنفس ، عربيد فى الليل وفى الحرب عربيد · ماذا تريد ؟!

(يتغير الضوء · سالم وحده فوق قمة مرتفعة ليس حوله غير النجوم)

سالم : مالم يحدث أبدا أفضل من كل ما حدث ، ومالم يكن أبدا أكمل من الأرض والسماء . انما نحن فوضى لامعة ، فماذا تريد ؟ أريد أن يقبض الظلام بأجنحته على الصحراء ، أن تنضب العيون ويتطاير الحصى ، ان يبيد العالم أو يعود كليب . لا خير في شيء الا أن يكون ما أريد ، والعدل الكامل هو ما أريد . أعدل أن أبيع دم أخي بألف ناقة ، وقد دفعت ولا خيار لي في الصفقة ؟! أعدل أن أبيع دم ملك كريم بدم قاتل الملك الكريم ؟! ولو قد بلغت بي الخسة أن أبرم الصفقة وأن أطفي غلتي بالدنانير أو بدم رخيص أثيم ، فكيف يسوى أخي صفقته ؟ هو قد دفع العرش والسيادة ودمه وضحكة الصبح وحب البنت والولد .. هو قد دفع الشمس والقمر والحياة .. في مقابل أي شيء ؟ سقط ساكن الحركة فما الذي يرفعه ؟! مظلوم فما الذي ينصفه ؟! موجع فما الذي يشفيه ؟! الظلم ، ذلك النجم الأسود الثابت في نهار السماء ، ما الذي يسقطه ؟! ان كان محالا فالحياة عبث . البر عبث . خفقة القلب المحب عبث . كل عدل عبث . الشعر والحب والسلم عبث ..

ذلك أن الزمن عدو البشر ، فالزمن يبطل العدل ، حيث لا يمكن أن يكون مالم يكن ، حيث لا يمكن ألا يكون ما قد وقع . الا أن معجزة واحدة تحقق العدل العميم . معجزة ما أصغرها .. أن يرتد الواقع لحظة ليبطل جريمة ، وينقذ مجنيا عليه .

عاش الانسان شقاؤه كله تحت جناح الندم ، وما كان أغناه ، فالندم ابن استحالة المراجعة ، مع أن الانسان يمشي قدما ويتراجع الى الوراء ، والريح تهب شرقا ثم تنعكس

فتهب غربا ، الا أن ما يصنعه البشر يتدفق دائما في وجهة واحدة ، وما أعظم الظلم الواقع من جراء ذلك ! .

القصاص ؟! أيرجع القصاص ميتا الا أن تتولانا معجزة ؟

أو تتفجر المعجزة بضربة سيف جبارة في المستحيل كما ينقدح في الصخر الشرر ؟! أتتخلق المعجزة في بحر الدماء كما تتخلق الحياة من نبع ماء ؟!

أو .. أفيمكن أن أقتل وأقتل وأقتل ، فلا يكون كليب من جديد الى آخر الزمن ؟! يا ضيعة الجهد والعمر والمخاطرة ، يا فساد كل الأفعال اذن . يا بوار كل النوايا وخفقات القلوب والدم ودموع اليتيمة والسخط والغضب والرفض والاقدام . سيفي منطقي وملك الموت تابعي والراية السوداء تاجي والقتل والقتال والروح والمهجة قرباني وضحيتي ..

نحن ندفع كل هذا ثمنا . يا نجوم السماء ، يا منطلق الرياح والعواصف والشحنات المطر في السحاب . نحن ندفع الثمن كاملا وافيا ، فأين أخي ؟! .

(تتغير الاضاءة . نحن الآن بين بيوت بكر . أطراف الخيام تحوط المسرح . جساس وسلطان وثلاثة فرسان بكريين) .

جساس : تحينوا الفرصة في الظلام . تسللوا في خفة القطط . باغتوه اذ هو نائم يغط . انقضوا كالصقر الساقط على الفريسة بقوة ، فهو مرهف الاحساس للخطر ، حتى وهو نائم ، ولا يعلم الا الشيطان أي حيوان حذر هو .. وانتبهوا جيدا الى أن أول خطأ يرتكبه أحدكم هو النهاية لكم جميعا .

أخى سلطان ..

سلطان : سنكون على حذر .

جساس : اعلم أن حياة كل البكريين معلقة على نجاحك . فقد فسدت همم رجالنا ومنينا بشر الهزائم ، ولم يبق لنا غير الخديعة والمباغتة .

الأول : هل يبيت معه أحد فى خيمته ؟

جساس : لا أحد .

الثانى : أينام أحد على باب خيمته ؟

جساس : فى هذا البرد لا أعتقد .

الثالث : هل سنحمله حيا ؟

جساس : لا لا . اقتلوه ساعة تبصرونه . احملوا جثته . لن تأمن لسالم الزير الا أن مات سالم الزير . هذه هى الغرارة ..
(يعطيهم غرارة كبيرة)

سلطان : أخى . لعله الوداع الأخير .

جساس : إن كان وداعا ، فقد قدر على بنى بكر الابادة .

سلطان : نرجو أن لا ..

جساس : سادتى . أننى أثق فيكم .

(يتغير الضوء . نحن الآن امام خيمة الزير سالم . يدخل سلطان والبكريون الثلاثة حذرين ويتسللون داخل الخيمة . أصوات مكتومة .

يطل احدهم من داخل الخيمة . لا يرى احدا . يخرج الأربعة من الخيمة حاملين الغرارة مملوءة . ينصرفون ، يدخل رجال الامير سالم الثلاثة التغلبيون يترنحون . يلتفت الأول ناحية البكريين وقد رحلوا)

الأول : كأنهم يحملون غرارة .

الثانى : لعلهم يحملون غرارة .

الثالث : أهم رجالنا ؟

الأول : هذا سؤال .

الثانى : أيجرؤ غير رجالنا على دخول خيمة الأمير ؟

الأول : (مستنكفا) وسؤال .

الثالث : معناه انهم رجالنا .

الأول : فلم السؤال ؟

الثانى : لنتأكد .

الأول : تأكدنا بلا أسئلة .

الثالث : أنت متأكد ؟

الأول : (ساخطا) وسؤال .

الثانى : لا تغضب . نستوقفهم لنعلم منهم .

الثالث : رحلوا من مدة .

الثانى : الدنيا ظلام .

الأول : انتهى الأمر .

الثانى : ما هو ؟

الأول : (يشيح عنه مغيظا)

الثالث : دعه يغضب .

الأول : لم تكثرون من الأسئلة ؟!

الثانى : لأننا نتكلم .

الأول : ولم تتكلمون ؟

الثالث : ايه ! أنت كثير الأسئلة .

الأول : أصابتنى العدوى .

(يدخل عجيب من خيمة سالم)

عجيب : أين سيدى ؟

الأول : (باستنكار) يسألنى !

عجيب : أين سيدى ؟!

الثالث : (ساخرا) لعله أن يكون فى غرارة حملهـا ثلاثة رجال أمامنا الآن من الخيمة الى الصحراء .

عجيب : يا أخس الناس . هذا بالضبط ما حدث ، فعلى الفراش بدل سيدنا بركة دماء ساخنة .. يا لتغلب ! ..

(يخرج فى الاتجاه الذى سبق اليـه البكريون بينما يحملق الثلاثة فى عدم فهم) .

(تتغير الإضاءة . نحن أمام بيت ... أمامها قدر ماء يغلى . يدخل جساس وخلفـه سلطان والرجال يحملون الغرارة)

سلطان : لم جئت بنا هنا ؟

جساس : أبشرى يا ابنة العم ، أتيناك بعدوك . خذى (يلقيـه الرجال تحت قدميها) احرقيه وانتشى برائحته .

سلطان : دعه لنا .

جساس : أرسلى دخانه فى مضارب بكر رقية من الخوف والذل .. على مهل وتلذذى .

سلطان : (لجساس) ماذا ترمى اليه ؟

جساس : (جانبا) فما أمتع أن تفنيه أخته بينما نجهز نحـن على قومه بالسلاح .. الى السلاح نقتحم بيوتهم ونذيقهم ذلنا !

سلطان : انتظر .

جساس : هيـا .

(يخرجون . تقترب اسما من جسد سـالم المسجى ، بينما يبدو عجيب من بعيد متسللا)

أسما : قاتلى . عدوى . ممزق كبدى . ذابح زوجى ثم ذابح طفلى . المجرم بلا مروءة ، سفاح بلا ضمير . العديم البر بالأهل . الظالم كذئب شرير .. آه . أيها الموت . يا مرضى وشـفاء نفسى . ثكلت فى الأول الأخ ، ثم الزوج ، ثم الولد ، والآن أتداوى بقتل ابن أبى .. (سالم يتأوه) يتأوه ! يا حبيب القلب . أحرقت قلبى بآهتك ، يا أخى ! آه . آه . آه .

(بحنان) جرح فى الصدر وقطع فى العنق · دم يتدفق ودم يجف ·· (تضمه فى صدرها بقوة) أميرى سالم · حبيبى سالم · أخى وأبى وزوجى وولدى وحبيبى الباقى ··

عجيب : (يقترب منها بحذر) سيدتى · أعطنى سـيدى ·

اسما : (تتصدى له) من أنت ؟!

عجيب : أنا خادمه · ارحمى سيدى · أعطنى سيدى ··

اسما : أرسل دموعك يا غلام على أطهر القاتلين وسيد المقاتلين وملك التغلبيين وماجد العرب ··

(تتغير الاضاءة · نحن فى خيمـة باليـة فى الصحراء · سـالم مسجى وحـوله الحـكيم وعجيب) ·

الحكيم : (أثناء الفحص) جراح غائرة · كثيرة · فى العنق · فى الصدر · فى الراس ··

عجيب : (يتعجله) والعلاج يا سيد · العلاج ؟

الحكيم : ·· فى القدم · فى الفخذ · فى البطن ··

عجيب : أحصيتها قبلك · أعرف · والعلاج ؟

الحكيم : وهذا تسبب بالطبع فى نزف دم كثير ··

عجيب : الرحمة يا سيد · تكلم ·

الحكيم : وطبعا قد تتقيح الجروح ان لم تطهر بالنار · ·

عجيب : هذا أول الخيط · تطهير الجروح ·

الحكيم : وقد لا يحتمل الجريح فوق ما يعانى ، حروق العلاج ·

عجيب : قطع الخيط · تكلم يا سيدى · الرحمة ·

الحكيم : ولربما أصابته الحمى فوق ما هو عليه ·

عجيب : (يقعد) سيدى · انصرف سامحك الله ·

الحكيم : الا أننا سننظر فى النجوم ·

عجيب : كنا ننظر فى الجراح !

الحكيم : (ينظر فى منظار غريب طويل كان يطويه فى جعبته) آه · ها هو · تمام · تمام · ياه · كما توقعت · آه · ياه ·· هيه ··

عجيب : الآن هو الذى يتأوه !

الحكيم : شف يا ابنى · كم ستدفع ؟

عجيب : أغرب الأسئلة !

الحكيم : حالة خطيرة ·

عجيب : ولكنك لم تتكلم بعد ·

الحكيم : كل شىء بميقات ·

عجيب : خذ كل ما عندى · خذ ·

(يدفع كل ما فى جيوبه)

الحكيم : (يحصى النقود ثم يتأمل الموقف لحظة) طيب · سـينام صاحبك سبع سنين · تطعمه سوائل ثم يصحو معافى الا أنه سيفقد الذاكرة ·

عجيب : سبع سنين ؟! جن والله ·

الحكيم : طهر الجروح واسقه عصارات فاكهة · ضاع الوقت · عليك السلام (يخرج) ·

عجيب : سبع سنوات ؟! يسخر الرجل منى · أخذ كل ما معى · اذن رحل سيدى · آه مما أصابنى · خادم بلا سيد · ظل بلا جسم ، وجسم بلا ارادة · النجوم كلها فى مداراتها ونجمى أنا لا · اللئام فوق عروش الذهب ، وأنت يا سـيدى وأنا يا خادمك لا · الآن لا عطف ولا نصير · جثتان · لا مرح ولا مجد ولا حرب ولا سلام · قطعوا لحمنا وأراقوا دمنا ، وكنا أسبق من شعاع الشمس الى الدنيا وآخر من ينام · الآن لا قوة ولا سند · لا حيلة ولا عون · لا صباح ولا ليل · لا خمر ولا مجون · الآن لا لا لا لا لا لا ·· لا · فآه مما أصابنا ·

« ســتار »

الفصل الثالث

المنظر :

(نفس قاعة العرش . هدوء شامل . الآن يقف أسفل المسرح هجرس وجليلة ومرة بينما اختفى الباقون فى جمهرة الأمراء الواقفين حول المسرح)

هجرس : يا لأطياف الكارثة . ففى هذه المجزرة الشنيعة فضلا عن ذلك آباء وأبناء ليس لهم فى الحرب ناقة ولا جمل . الا يتكلم عنهم أحد . ألم يجأر أحدهم بالشكوى والرفض بينما الأمراء يتطاحنون بهذه القسوة .

(يخرج من الجمهرة ثلاثة جنود على سيماهم عنف المعركة ولكن بلا عاهات . يتقدمون لهجرس)

الجنود : سنتكلم نحن عن صغار الناس ، أولئك الآباء والأبناء الذين اصطلوها لآخر لسان لهيب فيها . نحن لسنا طلاب معالى لنفكر فى الأمور المعقدة ، الطبيعة هيأتنا لنكون طلاب حياة ،

رعاة وزارعين وصناعا وحرسا ، سواعد قوية ومطامح صغيرة ونفوسا طيبة . لسنا من أمراء بكر أو تغلب .. معظمنا أقرباء لهم قرابة بعيدة أو موالى يدينون لهم بالطاعة أو رعايا صغار . نحن حملنا عبء الحرب كله على سواعدنا . ومع ذلك فلم تكن بالحرب الوطنية لنجاهد فيها ضد الغزاة دفاعا عن أرضنا وأرزاقنا ، ولم تكن بالحرب التى يفرضها البر بالجار ان تعرض للاعتداء فاستصرخ جاره . كانت حرب الأهل واللحم والدم .. المهزوم فيها يبكى شرف أخوته ، والمنتصر يبكى شرف أولاد عمه .. حرب الفوضى والضياع ، حملنا عبأها على سواعدنا . عرفنا الخوف بالليل من لقاء النهار ، وخوف الليل مع الجسد المرهق ليس بالسهد الذى يشكوه المترفون ، ولكنه استغراق تدهمه الكوابيس البشعة ، نوم مفزع وغرق فى مستنقع العذاب . عرفنا الخوف تحت لفح الرياح الحارة تلهبها الشمس ، وروعة الصدام العنيف بالسيف والرمح والدرقة . كأن جبلا أرتطم بالجبل ، وويل لمن هو أقل فى الوزن ، ينخلع من فوق الجواد فاذا ألف حافر تمزقه .وطعنة الرمح وضربة السيف وصيحة الخصم بوحشية كحفنة الروع تلقى فى الوجه . وموت الصديق يوصى أخاه بالبنت والولد ، والغصة بعد ذلك قبل ظـلام النهاية ، أو الأنظع من ذلك .. الحياة بعد الصـدمة ، خلف الصفوف ، بعاهة عاهرة ، تقلب العامل شحاذا والكريم متسولا قـوت أولاده . العجز ! .. ناهيك بخوف العجز وخوف الصدمة وخوف الموت . ذلك يجعل الرجل الشريف ضبعا بلا شرف، يقتل مواجهة ويقتل من خلف ، يقتل بضربة ثم يمثل بالجسد الساكن بعد الموت ، يقتل الصامد ويقتل المذعور المستسلم او الهارب .. وحرارة التشفى تملأ عروقه وحشية نجسة ..

ثم الكدر فى هداة الليل ، وقلق الضمير وزيارة الأطياف البشعة .. آه ! لا تذكرنا .

هجرس : ألم تطلبوا الفرار والنجاة لأنفسكم من كل هذا .

الجنود : الفرار أنكى وأضـــل . فأين شرف الرجـــل الصـغير الا بانتمائه لقومه . لا كرامة له الا فى الطاعة . أما الغربـة والهيام على الوجه فى الصحراء نهبا للصوص والأشرار ، وأما البحث عن سيد لا حاجة به لتابع آخر .. فذلك أذل وأضيع .

هجرس : يا للكارثة !

الجنود : نعم . هى ما قلت بالضبط .

هجرس : (بعد لحظة) وبعدها ، بعد عشر سنين من النزاع الدموى، سقط عمى سالم فى كمينهم واكتسحت بكر مدن ومضارب وبيوت التغلبيين .. فهل شبعت الأرض من دمائنا ؟ ما هذا الهوان والاذلال والجوع والتشريد الذى فرضته بكر عـلى التغلبيين سبع سنين . انت يا شيخ البكريين ، ماذا صنعت لتوقف طوفان الظلم عن أولاد أخيك طيلة السنين السبع ؟ هل وقفت فى وجه ولدك جساس ؟ أرفعت قبضتك عليه ؟ وأنت يا أمى ؟

جليلة : كان جساس مجنونا .

هجرس : خذلت سالما من أجله .

جليلة : بل من أجلك انت .

هجرس : واخوتى وأبناء جدى وأعمامى وأولادهم .. أما أدركتك بهم شفقة ؟

جليلة : كان مجنونا .

مـرة : كان ذلنا نحن البكريين أيضا يا ولدى · فالظالم ذليل كما ان المظلوم ذليل ·

هجرس : ما أهون أن تقول ذلك وأنت آمن على عشائك فى بيتك ، حر فى بلادك ، مشعل نارك فى ليلك !

مـرة : نعم ، ذلك أهون ، الا أنه ليس بالأكرم · ان التعس المغلوب يفقد كل شيء الا حقده على الظالم وهو كرامته ، ولكن التعس الغالب يفوز بكل شيء الا نصره الأخير ، وهو ان يأمن جانب ضحاياه · يظل يخافهم وينكل بهم ، وكلما ازداد بهم تنكيلا زاد رعبه من انتقامهم ، وكلما ازداد رعبه زادهم تنكيلا · يحقد ويبطش ويرتعد ، الى آخر المدى ، بلا أمل فى الشفاء ، وهذا هو ذله · فبعد سبع سنين من اذلال أولاد العم تحول جساس الى شخص غريب ، هو ما تقـول عنه جليلة انه مجنون ، وما أقول أنا عنه أنه ذليل وظالم نفسه ·

هجرس : هذا من أغرب ما سمعت ·

مـرة : نعم ، الا انه حقيقى · انظر اليه ··

(تتغير الاضاءة · ينسحب الامراء فى الكواليس بينما ينسحب هجرس فى الظـل ، الآن يقف جساس بين جليلة ومرة ، وخلفه سلطان وابنـه زيد) ·

جساس : ايها السادة · اعلموا ان أجود الخمر هو ما يدير الرءوس، وأجود النسـاء من يذهلن العقول ، والثراء هـو ما يغرى بالاستبداد ، والكبرياء هو ما يشيع فى الآخرين المذلة · وقد فزت بهذا كله ·· الا أن قلبى الرحيم هو الذى يتكلم ·

مـرة : فكر بعقلك ·

جساس : سأفكر بكيس نقودى مرة !

جليلة : أنت مجنون ·

جساس : (يصيح) عرضت أن أرفع عنهم الـذل أن يستجيبو لمطالبى · بيع بشراء ·

مـرة : وأين هو العربى يا ولدى الذى ترضى كرامته بما تعرض عليهم ؟

جساس : إنما أعرض عليهم الكرامة !

مـرة : لا · بل أنت تعرض على التغلبيين أن يبايعوك ·

جساس : هما نفس الشيء ·

مـرة : بعد حرب مريعة طوال عشر سنوات ·

جساس : أميرهم سالم الذى أثارها ·

مـرة : لأنك قتلت أخاه ·

جساس : مات بما يستحق ·

مـرة : وسبع سنين من الاذلال ··

جساس : انما أعرض رفع الذل عنهم أنبايعونى بالملك ·

مـرة : وهذا أحط ذلا لهم ·

جساس : لم ؟ ألسنا أولاد عم ·

مـرة : كنا ، ولكن لم نعد ·

جساس : فلنتصاهر !

جليلة : مجنون · لقد جن ·

جساس : ثم يا أختاه . أتأبى ابنتك ان تكون زوجـــة لولدى ، وملكة من بعدى ..

زيـد : (يتقدم لأبيه) خاطبتها جاريتى يا أبى ولكنها رفضت حتى الرد .

جساس : (يضربه بقدمه) لأنك مأفون ترسل جاريتـــك كأخيب العشاق . كن رجلا !

جليلة : لن ترضى يمامة .

جساس : ماذا قالت الأخت ؟

جليلة : (تصيح) لن ترضى يمامة .

جساس : قول مدهش . فالبنت لا تكاد تطيق النظر الى وجه أمها ، وأمها تدافع عن جنونها .

جليلة : ذلك انى أمها !

جساس : طردتك من بيتك ككلبة ؟

جليلة : آه . يا للهوان !

جساس : سادتى . هأنذا أعلنكم انى استجيب لرغبتـكم ، وأنهى حالة الحرب بين بكر وتغلب . سأرفع عن التغلبيين كـل آثارها التى اذقناهم مرارتها سبع سنين لا يوقدون نارا فى الليل ، ولا يتزاوجون ولا يركبون الدواب ولا يردون الماء الا بخاطرى . أما وقد امتثلوا وأظهروا الطاعة طيلة هذه المدة، رغم ان نار حقدهم تتأجج من تحت الرماد ، أنا أعلم أنا ، الا انى مع ذلك من فرط رحمتى سأبدل بالهدنة سلاما وبحكم القهر حكم بالتسوية ... لذلك (يتهلل) قررت ان تبايعنى

ساداتهم وسادات بكر فى نهاية سبع ليال وأيام من الأفراح المشهودة ، وفى الليلة السابعة يتم تتويجى وزواج زيد من بنت جليلة فى احتفال عظيم ، على أن يغنوا لنا بقوة وباخلاص. ان يرفع الواحد منهم عقيرته الى الأفلاك فنتبين صدق ولاءهم . انتهى !

جليلة : هذا أسخف مما سمعت أولا .

جساس : أيتها السيدة !

جليلة : لا تصرخ فى وجهى فلست أخافك .

جساس : تغلبية !

زيـد : عمتى .

جساس : لا عمة لك . اخرس !

جليـلة : أنا أعترض . وأبى يعترض .

جساس : دعى أباك وشأنه .

جليلة : أنا أعترض .

جساس : على أى شىء يا أختاه .. التتويج أم الزواج أم الغناء ورفع العقيرة ؟

جليلة : على كل شىء .

جساس : ولم ؟ ان حق لى أن أسأل مولاتى المبجلة ؟

جليلة : لأن العرش عرشك .

جساس : عرش من ؟

جليلة : عرش ولدى .

جساس : (ينطلق ضاحكا بعنف) ولدها !! الولد !! الخرافة وطيف الخيال ! عشم التغلبيين فى الجنة !! هاها ·· اعلمى أيتها المرأة انه ليس لك ولد ·

جليلة : كيف تدرى أنت ؟

جساس : لأنى بحثت عنه تحت كل حجر فى بلاد العرب ·· فلم أجد من الشائعات غير حديث خرافة ·

جليلة : أبى ·

مـرة : أعلم يا ولدى أن أختك لها ولد · لقد شاعت الشائعات ولكننا كتمنا أمره فلم نحسم الأسئلة بلا أو نعم خوفا عليه · ولكن حيث ان جليلة صرحت فعلى أن أؤكد ·

جساس : بن للطاغية !

مـرة : ابن لجليلة البكرية وكليب التغلبى · هو أقربنا للعرش ، وأقدرنا على احداث الائتلاف الذى نتمناه ·

جساس : العرش للغالب ! هذا هو القانون · وقد قررت الفوز بما أستحق ·

جليلة : لن تستطيع ·

جساس : لما ؟

جليلة : لأن النجوم قالت كلمتها · اننى أقتل ملكا وأتزوج ملكا والد ملكا · وقد قتلت تبع حسان وتزوجت كليبا وولدت هجرس ·

جساس : وأنا أيضا عندى حديث نجوم · قالت النجوم : لا يقتلك غير سيف قتيلك · وقد جمعت سيوفه والحمد لله ··

جليلة : رباه ! (جانبا) الا سيفا أهديته هجرس ·

جساس : أخى سلطان ، أيها الاخوة · اترمون ما فـزتم به بعد المشقة لغر أبله فى السابعة عشرة · سلطان · تكلم بلسان الأخ ·

سلطان : لا تغضب يا أبى مما أقول · لن أكون أقل برا بأخى مما كان سالم بأخيه كليب ·

جساس : هذه هى الأخوة · الآن · سيصير التتويج والزواج فى موعده · دقوا طبل الرجوج وأطلقوا الفرسان تبحث عن هذا الولد المسمى هجرس ·· حيا أو ميتا ، قبل سبعة أيـام · سنشرب خمر النصر فى جمجمته ·

جليلة : ربـاه !

جساس : أما أنت يا جليلة ، والى أن تنتهى احتفالاتنا بالليلة السابعة الزمى غرفتك لا تبرحيها والا فالموت لك ··

جليلة : تسجننى ·

جساس : وهو أهون ما تستحقين ·

(تتغير الاضاءة · تسقط ستارة فى المستوى الأوسط تحيل مقدمة المسرح الى مخدع جليلة· الوصيفة وجليلة) ·

الوصيفة : ألا تنامين قليلا ·

جليلة : سيقتل ولدى !

الوصيفة : بل سيلى عرش أبيه كما تحدثت النجوم ·

جليلة : يالى من حديث النجوم · حدثتنا ان سالم يلى العرش بعد اخيه فاقصيته بمكيدة أتاحت لأخى أن يقتل زوجى ! ما أخبث التدبير وما أظلم التفكير · ولربما لو صمت آذاننا عن حديث

النجوم لنجونا وتبين لنا فساده . النجوم تسخر منها وتتهكم علينا « تقتلين ملكا وتتزوجين ملكا وتلدين ملكا » .. تلدين ملكا هو ما أغرانى بكشف القناع عن وجه ولدى والجهر باسم حبيبى أمام عدوه المخبول .. يقينى انه يصـل الى العرش جعلنى أجهر باسمه فى وجه الموت .

الوصيفة : اهلاتى . سأعد لك شرابا ساخنا .

(تخرج . تسحب جليلة الستار قليلا فاذا خلفه شباك تتطلع منه للسماء) .

جليلة : ولكن .. لا ! أيتها النجوم الغادرة . الضـالة المضللة . أطلقت أقدار الجنون وما أطلقت أقدار الحكمة . أذهلتنى عن البر والظلم حتى تجنيت على سالم بقسوة لا تليق بملكة . أعميتنى عن الحلال والحـرام حتى لقيت نفسى فى صفوف أعداء رعيتى وصانعى العذاب لابنتى والشـارعين فى قتل ولدى . فيا لهوان مقاصدك . الا أنى أقف لك الآن كالصخرة فى الريح ، على قلعتى الغالية الباقية ، يقينى وثبات بداهتى فى الصواب والخطأ . الحياة صواب ، والموت خطأ . وقد أدخرت ولدى للحياة لم أدفعه فى أعاصير النزاع الدموى . وذلك هو انتصارى وفوزى عليك . تلك هى حكمتى الباقية ، فهلا عقلت .

لقد دبرته للعرش وأنا أعـددته له نظيف اليدين من الدم . فتعسا له من ملك طاغية ان يرتقى عرشه على جثة خال أو عم . وتعسا لكل نبوءات النجوم أن تقع سيوف جساس على جسد ولدى البرىء الغض .

أجزنى خطاه حتى يصل الى عرش أبيه ، والا أطفأت برقك الكاذب لعنانى ، وانتقام بانتقام .

(تتغير الاضاءة . ترتفع ستارة المستوى الأوسط فاذا نحن فى خيمة فقيرة فى الصحراء . سالم راقد يتململ وعجيب يرقبه) .

عجيب : عجيبة ! ايصحوا بعد سبع سنين ؟!

سالم : (يتأوه) ..

عجيب : أينهض بعد أن قتلوه ؟!

سالم : (يئن) ..

عجيب : أيبعث حيا بعد رثائى له ؟!

سالم : (ينهض فى فتور) أين أنا ؟

عجيب : أنت فى قصرى يا سيد الناس .

سالم : (يتلفت حواليه) أين كنت ؟

عجيب : فى فراشى يا سيد الناس .

سالم : (يتلفت فى ذهول المستيقظ من نوم عميق) نمت طويلا ؟

عجيب : حتى نبتت سبعة زهور تحت رأسك .

سالم : أتزعم أنى نمت سبعة أيام ؟

عجيب : لا . ليس بالضبط . كيف أقول ؟ دعنى أعد .. واحد . اثنين .. (جانبا) لو قلت له لقتلنى ، فما كذبت فى حيانى كذبة أضخم ولا أصدق من هذه ..

سالم : بم تهرف عندك .

عجيب : أقول يا سيدى انك نمت طويلا .

سالم : كم ساعة ؟

عجيب : (جانبا) وهذا أصعب الأسئلة ، فيا ليتنى كنت صرافا لأحسب هذه الحسبة ·

سالم : منذ متى ؟

عجيب : منذ سكرنا آخر مرة ·

سالم : ومتى سكرنا آخر مرة ؟

عجيب : بدأنا الشرب عند الغروب ، ونسيت منذ ذلـك الوقت احصاء الزمن ·

سالم : أشربنا كثيرا ؟

عجيب : نعم · (يتخبط) فقد عميت من السكر حتى لم أعد أرى ·

سالم : (كمن يتذكر) لعل الدنيا ظلام ··

عجيب : نحن اذن فى فى منتصف ليلة الصـفر من الشهر الذى يتوسط شهرين متتاليين ·

سالم : اخرج وانظر الى النجوم واعرف الوقت بالضبط ·

عجيب : (يطل) ما بين أول يوم وآخره بالضبط ·

سالم : آه · جسمى يتوجع · وهذه آثار جراح ·· ما الأمر ؟ هل دهمنا اللصوص ·

عجيب : أخذوا مالنا وكادوا يأخذون أرواحنا ·

سالم : لم ؟ وأين ؟ وكيف ·· ؟

عجيب : (جانبا) من سؤال صعب لسؤال أصعب · (لسالم) سيدى · لقد تهت من الضرب حتى لم أعد أعرف يمينى من يسارى ·

سالم : أين كنا ذاهبين ، ومن أين قادمين ؟

عجيب : كنا قادمين من الشرق ، ومزمعين بمشيئة الله السفر الى الشرق ·

سالم : (جانبا) شخص عجيب · من يكون ؟ اسمع يا هذا ·

عجيب : أنا يا سيدى ؟

سالم : ما اسمك ؟

عجيب : اسمى عجيب يا سيدى · (جانبا) والأعجب أنه نسينى ،

سالم : وأنـا ؟

عجيب : أنت يا سيدى ؟ ماذا ؟

سالم : ما صنعتى ؟ من أكون ؟ أتعرفنى ؟

عجيب : يا للغرابة · (جانبا) أيمكن أن يكون حقا قد نسى كل شىء كما قال الحكيم !

سالم : تكلم · أتعرفنى ؟

عجيب : (جانبا) ومعنى ذلك أنى أستطيع أن أختار لسيدى صنعة على خاطرى وقد كان فى رأيى يحترف حرفة قبيحة هى الامارة والقتال · ولكن الآن · ارتبك عقلى من الشعور باللذة · الآن أنا أملك أن أوظفه واضفى عليه ما أختار من المهارات · فكر بسرعة

سالم : تكلم ·

عجيب : صحيح · ما صنعتك · آه يا سيدى · كنا نمشى فى الأرض نمدح الملوك · (جانبا) صنعة ما ألذها وأربحها وأسلمها ·

سالم : نحن من الشعراء المداحين ؟

عجيب : نعم ·

سالم : أنكسب رزقا طيبا ·

عجيب : آه · يعنى · أحيانا وأحيانا · حسب الأحوال ·
الحمد لله ·

سالم : لنا اسم مرموق ؟

عجيب : يعنى · لا بأس ··

سالم : ما هو ؟

عجيب : عم تسأل يا مولاى ؟

سالم : عن اسمى ؟ واسمك ؟

عجيب : عجيبة ! (جانبا) ألى هذا الحد قد نسى ؟ حتى اسمه ·
يا للحكيم اللعين · الآن علمت أن الحكيم عنده من أسرار الصنعة ما يستطيع به أن يبتز أموال الناس بلا رحمة ·

سالم : الا تعرف اسمى · ألست صاحبى ؟

عجيب : (جانبا) يا لله · الآن انتقى لسيدى اسما على خاطرى ·
ويلك يا عجيب وما أعظمك ! بعد الصنعة اختر له الاسم ·
يا لله · ولم لا · اسم على مسمى (لسالم) نعم يا صاحبى اسمك « غريب » ·

سالم : وأنت ؟

عجيب : وأنا اسمى « عجيب » (جانبا) ذلك انى أحب أن أبقى

على ما أنا عليه ، اسما وصناعة ، فليس أحسن فى الدنيا منهما ·

سالم : أنت شاعر أيضا ؟

عجيب : لا يا أخى · أنا المضحك ·

سالم : مضحكى أنا ؟

عجيب : لا · نحن شركة · نمر على الملوك أنت تمدح وأنا أضحك ، ونتقاسم ·

سالم : اسمان متشابهان ، وصنعتان كالصنعة الواحدة ·

عجيب : نحن متشابهان فى كل شىء · سترى ·

سالم : ماذا تعنى ·

عجيب : عربيدان !

سالم : (يضحك) اتعشم · أعندك طعام ؟

عجيب : كسرة خبز ليس الا (يقدمها له) ·

سالم : نحن فقيران ·

عجيب : منذ متى لم نشتغل !

سالم : لا بأس · دعنا نخرج للهواء نضرب فى الأرض · نبحث عمن نمدح ·

عجيب : (جانبا) أأفرح أم أحزن ؟ خسرت بذلك الأمير العظيم وكسبت الصديق المسالم · آه · لو أننا سالمنا وسولمنا ، لعربدنا عربدة ، وانتشينا نشوة ! ولكن الطريق ضيق والسلم

عسير ، ذلك ان الرجـل المسالم هو الرجل الذى يمشى على يديه ويتداول الأشياء بقدميه · فكل المباذل والأسلحة والشرور التى فى الدنيا انما تتداولها الأيدى ، وتسعى اليها الأقدام · أما ما تسعى اليه الأيدى وتتداوله الأقدام فكله خير فى خير ··

سالم : علمت عنك شيئا جديدا الآن ·

عجيب : (مضطربا) ما هو يا سيد ؟

سالم : انك كثير الهمهمة · هيا ·

(تتغير الاضاءة وتختفى اجزاء الخيمة · نحن فى الصحراء · هجرس وتابعه)

هجرس : أنظر أمامك · ما هذه الرايات ؟

التابع : لعله عرس أو ميلاد أمير ·

هجرس : اسمع الطبل والزمر من هنا ·

التابع : يحتفلون ··

هجرس : ما اسم هذه المدينة ؟

التابع : لا أعلم يا سيدى ·

هجرس : كيف تعلم ؟ فالأمير منجد يحظر علينا التجـــوال خارج القصر ·

التابع : العالم ملىء بالشرور يا سيدى ·

هجرس : قل لى · ماذا كنت قبل أن تلحق بخدمتى ؟ ألم تكن تتجول فى بلاد الناس ؟

التابع : لا · نشأت فى قصر الأمير منجد لم أبرحه

هجرس : عجيبة · هو نفسه لا يبرح قصره ·

التابع : طول حياته يتجنب الناس ويعتزلهم ·

هجرس : هيا ننزل المدينة تتفرج ·

التابع : لا يا سيدى · كفانا الله شر الطريق ·

هجرس : لا بد أن أتفرج على هذا العرس ·

التابع : لا أستطيع ، لن يغتفرها لنا مولاى منجد ·

هجرس : يجذبنى الى هناك نداء قوى ·

التابع : فلنرجع فى الحال ·

هجرس : لم أعد صغيرا ليرسم لى الأمير مسار خطاى ·

التابع : القوم قوم شر يا مولاى · لن تسلم منهم · أتوسل اليك ·

هجرس : لا بد من نزولى الى المدينة · من القادم ؟!

(أصوات يدخل أربعة فرسان من رجال جساس يحيطون بهما على الفور) ·

الفارس الأول : وقوفا !

التابع : الفرار يا سيدى ·

(يفـر)

آه فلينجك الله ·

هجرس : من أنتم ؟ ولم أفزعتم خادمى ؟

الفارس الثانى : ما اسمك وما اسم أبيك وما سنك ؟ أعلم انـك تخاطب فرسان الملك ·

هجرس : لا اعرف من مذكم . اما اسمى فهجرس ، وابى منجد بن وائل صاحب القلعة فوق الجبل وسنى سبعة عشر عاما .

الفارس الثالث : اما الاسم والسن فيطابقان الحال ، اما الأب ..

الفارس الأول : اسمع يا هـذا . لم نسمع أن للأمير منجدا ولدا اسمه هجرس .

هجرس : ذلك أنه يبقينى فى القصر الى جواره .

الفارس الثانى : يخفيه ، لعلك أن تكون ربيبه لا ولده .

هجرس : نعم أنا ربيبه .

الفارس الثالث : هو بعينه ! تقدم معنا الى الملك .

هجرس : لا أدرى عم تتكلمون . ولكنى لا أتلقى الأوامر من أحد .

الفارس الثانى : هراء . تقدم . (يشهر سيفه)

الفارس الأول : لا بأس .. حيا أو ميتا . هيا .

هجرس : (يمتشق سيفه) الى الوراء !

(يهجمون عليه ويتصدى لهم)

صوت سالم : (من الخارج) ارفعوا سيوفكم فى الهواء !

(يدخل سالم كالصاعقة يقتل واحد ويفـــر الباقون)

أجرحت ؟ من هاجمك ؟

هجرس : لا أعلم . ليس الا خدش (يتحسس كتفه) شكرا لك . انقذت حياتى . من العربى ؟

سالم : انا غريب الشاعر المداح . وأنت ؟

هجرس : انا هجرس بن منجد بن وائل . وأبى صاحب القلعة فوق الجبل . زرنى ذات يوم ..

سالم : كادوا يقتلونك .

هجرس : تكرم واقبل منى هذا الكيس .

سالم : لا أقبل أجرا على نجدة .

هجرس : لا تؤاخذنى . فتكرم بأخذ سيفى هذا هدية لك .

سالم : سيف بديع .

هجرس : هدية أمى الغالية .

سالم : لا بأس . اليك سيفى هدية .

هجرس : سيف ثقيل .. وبديع . أنت مقاتل .

سالم : بل لشد ما أكره القتال .

صوت عجيب : (من الخارج) انتهت الموقعة ؟!

سالم : هذا صاحبى عجيب . تعال لا تخف . (يدخل عجيب) علمت اليوم شيئا آخر عنك . انك رعديد .

عجيب : هذا من أعجب ما فى .

هجرس : صاحبك نجانى .

عجيب : ولكنه أفزعنى حتى النخاع . ما لنا نحن . نحن شعراء . الله !

هجرس : لا تفزع . خذ جرعة خمر .

(يعطيه قربة صغيرة فيجرعها كلها بينما يضحك منه سالم وهجرس) .

سالم : ما ألطفك أيها الشاب . أترجع الى القلعة ؟

هجرس : لا . عزمت على مواصلة طريقى الى المدينة لأتفرج على الاحتفال . الى اللقاء .

(**يخرج**)

سالم : احتفال ؟! (يتأمل المدينة) يا عجيب . هنا أمراء يحتفلون. فلنهبط اليهم نمدحهم .

عجيب : (ثملا ينظر ثم يفزع) لا . هؤلاء كانوا سرقونا ذات مرة . أخافهم .

سالم : ذلك أدعى لاسترداد ما سرقوا .

عجيب : (حائرا) أقصد . كنا نحن سرقناهم ذات مرة . أخاف أن يتعرفوا علينا .

سالم : نحن لصوص ؟!

عجيب : لا ، أقصد . كنا سرقنا فتاة من عندهم ونحن سكارى . نحن عربيدون .

سالم : انت سكران . لا بد من الذهاب .

عجيب : لا لا . أتوسل اليك .

سالم : متى كان ذلك ؟

عجيب : من سبع سنين .

الم : أكان شكلنا هكذا .

عجيب : تغيرنا .

سالم : لعلهم لن يذكرونا . سندخل متخفين . هيا .

عجيب : كيف . انتظر . سبحان الله . أكلمك .. كلمة واحدة .. يا للوقعة !

(**تتغير الاضاءة . يبرز من الخلف ضريح كليب يمامة وهجرس**)

يمامة : بس !

هجرس : (يتلفت) أينادينى أحد ؟

يمامة : هنا أيها الفارس ، أسرع .

هجرس : من أنت ؟

يمامة : أسرع .

هجرس : ما الأمر ؟ (يقترب)

يمامة : اختبىء . (تجذبه لأسفل) شش !

(**تدخل دورية الفرسان البكريين**)

الأول : سمعت صوتا .

الثانى : لم أر شيئا .

الأول : ولكنى سمعت .

الثانى : أصوات تتناهى الينا من احتفالات المدينة ، ونحن هنا مع الأشباح نقضى الليل . هيا بنا الى الربوة نتساقى بعض الخمر .

الأول : أخشى أن ..

الثانى : لا تخشى شيئا . ليس هنا غير ذئاب خائفة .
هيا .

(يخرجون)

هجرس : ذهبوا . تعالى .

يمامة : كن على حذر .

هجرس : عم يبحثون ؟

يمامة : أجئت لزيارة الضريح ولا تعلم ؟

هجرس : الحقيقة انى مجرد عابر سبيل ولا أعلم .

يمامة : اذن لم يكن قصدك الضريح .

هجرس : لا .

يمامة : انت غريب أيها الفارس .

هجرس : وصلت الآن من بعيد .

يمامة : وكيف كان سفرك ؟

هجرس : لا بأس . (يضرب بكفه على كتفه) مجرد خدش بسيط .

يمامة : سلامتك ، ومرحبا .

هجرس : أيبحثان عنك ؟

يمامة : بل الزيارة هنا محظورة .

هجرس : لم ؟

يمامة : لأن الملك هو القاتل .

هجرس : يا طيبة . ماذا تفعلين أنت هنا فى الليل . فهمينى .

يمامة : أبكى حبيبى وأسقيه وأناجيه .

هجرس : قريبك ؟

يمامة : أبى .

هجرس : عيناك محمرتان . أبكيت كفايتك ؟

يمامة : لا بكاء يكفينى .

هجرس : لا أراك فى ملابس الحداد .

يمامة : لا حداد يليق بى .

هجرس : وحين مات أبوك / أما لبست الحداد ؟

يمامة : أبى لم يمت . بل سيعود بمعجزة .

هجرس : قول لطيف / منذ متى رحل عنك .

يمامة : سبعة عشر عاما ..

هجرس : هذا مقدار عمرى بالضبط . دهر طويل .

يمامة : ولكنى ما زلت أذكر اللحظة كأنها الآن .

هجرس : سبعة عشر عاما ؟! أيمكن أن تكون لحظة واحدة هى كل ما يعيش عليه المرء بعدها ، طول العمر ؟ أن تكون لحظة واحدة هى كل حياة الذهن ؟

يمامة : ورجل واحد هو كل حياة القلب .

هجرس : تظلمين نفسك يا طيبة ، فقلب العذراء لم يسو على هذا النحو . انما سوى للحب .

يمامة : صدقت • للحب •

هجرس : (يضحك) ولكن الاب • ذلك شيء آخر •

يمامة : هو كل شيء •

هجرس : القلب ينطوى على شيء آخر أيضا • أن تنظرى فى مكنون قلبك ••

يمامة : أرى أى شيء ؟

هجرس : الهوى ••

يمامة : أبى •

هجرس : لا تحيرينى فأنا أتخير أعف الكلمات ••

يمامة : لا تتحير •

هجرس : أنا أيضا مات أبى ، وأن كنت لم أره أبدا فقد مات قبل مولدى بقليل •

يمامة : لا تحزن •

هجرس : أنا غير حزين • انت الحزينة •

يمامة : لا لست حزينة ، أبى سيعود • ولكنى أخافهم •

هجرس : أليس لك أخ أو عم ••

يمامة : لا أدرى ••

هجرس : كيف لا تدرين ؟

يمامة : اختفى عمى منذ سبع سنين / ويقولون أن لى أخا لم يظهر بعد • طيف أرجوه •

هجرس : أهو مسافر ؟

يمامة : لا • مختبىء حتى يشتد ساعده •

هجرس : لم ؟

يمامة : سيقتلونه ان عثروا عليه •

هجرس : من سيقتله ؟

يمامة : قاتل أبى • يخافه لأنه صاحب الثأر •

هجرس : وأمك • ألا ترعاك ؟

يمامة : ليس لى أم •

هجرس : ماتت ؟

يمامة : لا •

هجرس : واذن ؟!

يمامة : كيف تعرف بنت أمها •

هجرس : كل بنت تعرف أمها التى ولدتها •

يمامة : لو كنت أذكر أنى رأيت رحمها وأنا فيه ، فلعلى كنت اعرف أمى •

هجرس : والحنان ؟

يمامة : أخت قاتل أبى ؟!

هجرس : أهى أخت قاتل أبيك ؟

يمامة : بنت أبيه •

هجرس : لعلها بريئة ، فلأى سبب تحقدين عليها ٠

يمامة : لا أحقد عليها ٠

هجرس : تنكرينها ٠

يمامة : لم أعد حتى أعرف ملامحها ٠

هجرس : أتعيش بعيدا عنك ؟

يمامة : لا ٠ معى ٠ ولكن تعسا لعينى أن وقعت عليها ٠

هجرس : لا تنظرين اليها ؟! ولكن اذا تصادف والتقيتما فى الحديقة أو فى المدخل ٠

يمامة : تتجاوزها عينى ٠٠

هجرس : وهى ٠ ألا تخاطبك ؟ ألا تتلطف معك ؟

يمامة : أذنى صماء ٠

هجرس : ولكنك تسمعيننى جيدا ٠

يمامة : ذلك أنى أنظر اليك ٠

هجرس : (لحظة ٠ يضحك) كيف ترينني ؟

يمامة : فارس جميل ٠ اشتهى أن تكون أخى ٠

هجرس : تعالى ٠ اقتربى منى أكثر ، فما ألطفك مع ذلك ٠

يمامة : كيف ترانى ؟

هجرس : جميلة وغريبة ٠

يمامة : ما اسمك ؟

هجرس : هجرس ٠ وأنت ؟

يمامة : يمامة ٠٠

هجرس : (يهدل لها مداعبا)

يمامة : (تضحك من أعماقها) كما كان أبى ينادينى ٠٠

هجرس : يا طيبة / وددت لو كانت لى أخت مثلك ٠

يمامة : (مشفقة) ولكن أمى قاسية ٠

هجرس : لا ٠ لا أرضى أنا ببديل لأمى ٠ فما أحناها على ٠

يمامة : وما أفظع أمى / طالما قربت أخاها القاتل ودللته ، بينما كانت تكره عمى وتقصيه حتى تمكنت من ابعاده عن البيت فخلا الجو للقاتل ليرتكب جريمته ٠

هجرس : ياللغدر ! حين مات أبى أرسلتنى أمى الى منجد ابن وائل وهو أمير عظيم وأب بمعنى الكلمة ليعلمنى الحكمة والفروسية ٠ كانت تقول لى : اشتهى يا ولدى أن تكون سيد العرب كلهم عقلا وشجاعة ، وأن تكون بارا ببنى جنسك ٠

يمامة : وهان عليها فراقك ؟

هجرس : يقول لى الأمير منجد انها أقصتنى عن بلاد الناس حتى لا أشب على حب الظلم ٠

يمامة : لعله على حق ٠

هجرس : تزورنى وأزورها من حين لآخر ، وما أعز وأنبل دموعها وهى تودعنى ٠

يمامة : ليتها كانت أمى !

هجرس : لعلك تجدين فى الزوج عوضا ..

يمامة : لا لا · أتوسل اليك · فهم يريدون تزويجى قسرا ·

هجرس : من ؟

يمامة : خالى ·

هجرس : ممن ؟

يمامة : من ولده ·

هجرس : تتزوجين ابن قاتل أبيك ؟!

يمامة : تصور !

هجرس : جنون القسوة !

يمامة : نعم ·

هجرس : ارفضى · اصرخى بأعلى صوتك : لا !

يمامة : بعد سبع سنين من الأذلال · لا نوقد نارا فى الليل ·

هجرس : لا تخافى ·· سأنقذك ، اهربى معى الى قصر الأمير منجد ·

يمامة : سيطلبوننى ولو كنت فى فارس ·

هجرس : لا يستطيعون ، فالأمير له عزوة ·

يمامة : ولكنهم أقوى منه ·

هجرس : من ؟ هؤلاء

يمامة : جساس وأخوته ··

هجرس : من ؟! انتظرى لحظة · عمن تتكلمين ؟

يمامة : خالى جساس

هجرس : وامك · من تكون أمك ؟

يمامة : جليلة البكرية ·

هجرس : انتظرى لحظة / أهذه من تصفينها بالقسوة ؟

يمامة : نعم أيها الشاب · أتعرفها ؟

هجرس : تجنيت وأى جناية · مجنونة تسكن مقبرة ·

يمامة : ما دهاك ؟

هجرس : تتكلمين بهذا السفه عن أمى أيتها الضالة ·

يمامة : أمك ؟! جليلة بنت مرة ؟! أمك أنت ؟!

هجرس : وعمك · من يكون ؟!

يمامة : انت مخطىء · فى الأمر خطأ ··

هجرس : أيكون عمك سالم الزير ؟ قاتل أبى ؟

يمامة : أبوك من ؟

هجرس : شاليش الفارس البكرى · من أبـوك ؟ أكان لأمى زواج آخر قبل أبى ؟!

يمامة : شاليش من أيها التعس · هل رأيته ؟

هجرس : لا · مات قبل أن أولد ·

يمامة : أيمكن أن · آه مما بى ··

هجرس : ما دهاك ؟!

يمامة : ابتعد · بل اقترب · آه (تجرى مبتعدة)

هجرس : من أبوك ؟! تكلمى !

يمامة : (جانبا) أيمكن أن ·· ؟ نادانى بهديل اليمامة كأبى ·· كان أبى أن رميته بتفاحة يقسمها اثنين بضربة واحدة على مقبض سيفه ويلقى لى بنصفهـا ·ويقضم نصفها · يارب ! (لهجرس) أيها الشاب الطيب لا تعتب على · اليك بتفاحة ·

(ترمى اليه التفاحة فيكسرها نصـــفين بضربة واحدة على مقبض سيفه ويلقى اليها بنصفها)

هجرس : لا عليك · القطى ·

يمامة : أيها التعس · أنت هجرس بن كليب ملـك العرب · أيها المسكين الحبيب التعس · أنت أخى لأمى وأبى · أخى لأبى وأمى ·

هجرس : ماذا قلت ؟

يمامة : صاحب الثأر وملك العرب ··

هجرس : (جانبا) أنا أرتعش ·

يمامة : اركع فأنت على قبر أبيك تلتقى بأختك ·

هجرس : انت مجنونة ؟!

يمامة : اركع فهل تتصور أن جليلة ملكة العرب كانت لتتزوج بعد كليب نكرة يدعى شاليش فى نفس السنة التى مات فيها أبى ؟ كم سنك ؟

هجرس : سبعة عشر عاما ·

يمامة : سبعة عشر عاما بالضبط . وما اخفتك الا خوفا عليك من القاتل جساس أن يقتل ابن قتيله صاحب الثار / أكنت تقابلها جهارا أم خفية عن الناس ؟

هجرس : كنا نلتقى خفية عن العيون ·

يمامة : املأ قلبك اذن بالفرح وبالحزن وبالجزع وبالغضب فأنت ابن كليب يا أخى ·

هجرس : من هناك !

(تدخل ثلة الفرسان البكريين ويحيطون بهما)

الأول : هو · هجرس بن كليب · الآن لا نجاة لك ·

هجرس : من أنتم ؟!

الثانى : كان لا بد أن نفكر أنه يزور الضريح ·

هجرس : كنت مارا فقط ·

الثالث : ها · أليس اسمك هجرس ؟

هجرس : نعم · اسمى هجرس ·

الأول : وأبوك ؟ من أبوك ؟ !

هجرس : أبى شاليش البكرى ·

الثانى : شاليش مات منذ ثلاثين سنة · ما سنك ؟

هجرس : سبعة عشر ·

الثالث : ما اسم أمك التى ولدتك ·

هجرس : جليلة بنت مرة ·

يمامة : الى الفرار يا أخى .

هجرس : لا . لا فرار . لماذا تضحكون .

الثانى : من سذاجتك أيها الطفل الشرير . أتظن أن أمك وهى ملكة العرب كانت لتتزوج بعد كليب الا ملكا ؟ ! هيا . احذروا مخالب البنت . سيكون تتويج جساس حافلا الليلة . ها ها ..

الأول : سنكافأ مكافأة !

الثالث : سيجعلنا قادة الجيش . ها ها ها .

هجرس : تعالى يا يمامة (يحتضنها) أيها الحراس اننى أمشى معكم على خاطرى فلشد ما أشتهى الآن لقاء جساس . الزموا الأدب فى رحلتنا لتضمنوا حياتكم ، وتذكروا ان الذى يمشى الآن بينكم هو الأمير هجرس بن كليب .

(تتغير الاضاءة . يختفى الضريح بينما تظهر قاعة العرش . جساس ثملا على العرش . وخلفه سلطان وزيد وامراء وحراس وهدايا).

جساس : رجالى ، أصدقائى ، اخوتى .. الليلة نهاية رحلتنا . العرش . وبه يحق لنا ما نملكه ، ونقبل الهدايا متكرمين .

جساس : أرنى . أرنى .. أهذه كل الهدايا .

أمير : نعم يا مولاى .

جساس : من قدم ومن ومن ؟

الأمير : كل السادات والأعيان .

جساس : ألم يكن عندهم ما هو أغلى وأثمن ؟

الأمير : لا يامولاى .

جساس : كيف تعرف ؟

الأمير : (بلهجة ذات مغزى) تأكدنا بأنفسنا .

جساس : (يضحك بجنون) لا بأس . ذهب . جواهر .

ـ هاتو ثروات كليب وثرواتى كلها هنا .

ـ أريد أن أتوسط مالى وان خاطبه . ايها الحراس .

(يهرول الحراس خارجين وسرعان ما يأتون بالصناديق ويفتحونها) .

جساس : والابل . اربطوها على الأبواب . كل شئ . كل شئ . سأرى بنفسى كم أنا غنى . قاطعنى أبى . ولكنى سأريه ولده على القمة . انظروا كم هى جميلة هذه الأشياء ، تأملوا بعيونكم . أحبها لأنها لى آخر الأمر . لى أنا وحدى . جواهر فوق جواهر . خزائن فوق خزائن . املأوا أعينكم . ذهب . لؤلؤ . سيوف . تحف . سجاجيد وطنافس . تلال فوقها تلال . كل شئ عندى . كل ما اقتناه الذين قبلى ويقتنيه الذين بعدى . زيد . اقترب . أغرف . أغرف ! أتعصانى . اغرف ! (يضربه على ظهره يكاد يوقعه) كلها لك من بعدى واللئيمة لم تكن تريدك . سأجعلها ترتمى تحت أقدامك . هل وجدتموها بعد .

الأمير : البحث جار يا مولاى .

زيد : ولكنى لا أريد أن أتزوجها يا أبتى .

جساس : ستريد لأنى أريد . هيا تكلموا جميعا فى نفس الوقت وأدخلوا المغنيات والراقصات جميعا فى الحال . تكلموا .

(**الجميع يتكلمون . وتدخـــل الراقصـــات والمغنيات يغنين)** .

أى رفقة . أى صخب . أى أنس . قفوا ! أخرجوا ! أنا شقى !

(**يهرولون خارجين**)

أنا وحيد لأن حولى فراغا . عندى ما يملأ القلب والعين ، ما يملأ سوقا ، ما يملأ مغارة ، ولا شيء يملأ قلبى أو عينى . تعسا للعالم . كل ثرواته لا تشبع رجلا واحدا . ما أضيعـه وما أخسره وما أرخصه ! (يركل كل شيء بقدميه) الخمر !

(**يهرول الخدم يقدمون الكئوس فيشرب**)

الشعراء .

الأمير : بالباب شاعر يا مولاى .

جساس : هاتـه .

(**يدخل سالم يدفعه الحراس**)

وانت ما عندك ؟

سالم : كلمات .

جساس : وما ترى عندى ؟

سالم : ثروات .

جساس : وما تطلب ؟

سالم : صلة الأمير .

جساس : بل كلمة بكلمة . تمدح ونشكرك .

سالم : كلمة الشكر أغلى من الذهب .

جساس : منافق .

سالم : لا أهـانات .

جساس : سيغضب من كلمة !

سالم : لكل كلمة وزنها .

جساس : والذهب .

سالم : لا شيء .

جساس : هذا قول يعزينى ! لا بأس . أعندك كلمة أثقل من درة ؟

سالم : ما الدرة ؟ تراب متبلور .

جساس : لا أهانات للدر يا سفيه .

سالم : انت سكران .

جساس : ماذا قلت ؟ (الحراس يحيطون سالم)

سالم : قفوا ! (يشهر سيفه)

جساس : لمن الصوت ؟ أمعك أحد ؟

سالم : كبريائى !

جساس : من ؟! سالم !

سالم : جساس !

جساس : اقتلوه !

سالم : الموت لك (يلتحمان ، يطعن كل منهما الآخر)

جساس : آه قتلتني · في يدك سيف كليب !

سالم : سيف من ؟!

(يهم الفرسان بينما يدخل مرة)

مرة : فليرفع كل منكم سيفه · فهذه هي النهاية ·

(يدخل الحراس بهجرس ويمامة يحيطهما الفرسان)

حارس : سيدى الملك !

سلطان : (ينحنى على جساس) أخى !

مرة : سكوتا ! واحتراما لأميرين يحتضران ·

هجرس : (ينحنى على سالم) عماه ! هل شفيت ·

سالم : (يتأمله · يسلمه سيفه) بعض كليب ، بعض العدالة ·
آه لدمعتين ·

(تتغير الاضاءة · نفس القاعة · اقبل الجميع على هجرس ، عادت يمامة الى كرسيها أسفل يسار المسرح · هجرس وجليلة ومرة وسلطان واسما ويمامة بنفس مواقفهم فى المشهد الأول)

هجرس : احملوا جسدى الأميرين بنفس الأكبار والاجلال ·
اغسلوهما بما ينبغى أن نغسل به قلوبنا من بر ورحمة ·
فالجانى والمجنى عليه يستويان — خال وعم — أين الفكاك من
أسر الدم ·

مرة : تكلم عن العرش يا ولدى ·

هجرس : أتكلم عن البر ·

اسما : فاين دم ولدى وزوجى ؟!

سلطان : أخى برىء من دمهما ·

يمامة : لا برىء الا واحد ·

جليلة : الى السلاح اذن كالأشرار !

هجرس : ثمة ما هو أقوى من السيف والخنجر · العقل · ان تبرير القتل أفظع من لقتل · وتغطية الدماء بستر من المعاذير أبشع من سفكها ·

أفدح الذنوب كلها مع ذلك أن تنظر الى الخلف ، وأنت تسعى لاحقاق الحقوق · فيا لغرابة الأخلاق ! ان ما تراه أبيض وأنت تنظر الى الشرق يلقى بظله الأسود وراء ظهرك فاذا هو جد مختلف · نعم — لقد طلبتم العدل ولكن بلا عقل · الآن انظروا أمامكم لحظة لتروا بأعينكم العدل خارج الزمن ·

ذلك اننا من الممكن أن نسفك دم أجيال كثيرة لمجرد أننا ربطنا أنفسنا كالبهائم الى أوتاد لحظة واحدة وقعت فيها جريمة خطيرة ·

أيها السادة أديروا ظهوركم لأمس الدامي الأسود واستقبلوا يومكم وغدكم بدله · فذلك أدعى للائتلاف وهو بداية حياتكم · لقد جعلتم أنفسكم فريسة أنفسكم وهزأة للعالمين وأنتم تولون وجوهكم الحائط الأصم وتزعمون السير قدما ·

الآن تطلعوا الى !

انا اقف تحت الشمس ، بكل حقيقتى وحقيقتكم . بلا زيف . سكبت الدموع الصادقة على قتلاكم أعماما وأخوالا ، ولكننى فكرت مع ذلك . استفـــزتنى سيوفـــكم المتجنبـة والمتصدية ، ولكنى مع ذلك فكرت .

فكروا ، ما مناط الحياة لكم ولأولادكم ؟ ما مناط المنعة ضد أعدائكم ؟ الائتلاف .. الائتلاف ضـد محرضيكم والمفسدين والطامعين فيكم ! فهل تبصرون قانونى ؟!

ضد أعدائكم ؟ الائتلاف .. الائتلاف ضد محرضيكم والمفسدين بريئة ، ولكنها أسرتك وعرشك .

هجرس : العرش ؟! نعم . العقل يقصينى عنه ، ومع ذلك يدنينى منه . فتحت وطأة التفكير ، وقدرته على الالـــزام النفسى ، قبلت عرشكم . لأنه لا يعود من الشرف بعد ما سمعت أن أتخلى عن اقامة العدل لمجرد أن ظلما وقع فتبادلتموه جميعا بالأيدى ودمغكم على الهامات . فهل أنتم لى طائعون . وتحت رايتى مؤتلفون ؟

مـرة : تقدم يا ولدى .

هجرس : وهكذا تدور اللعبة فتشملنى أنا أيضـــا فى أعصارها الدوار . أين الفكاك من الدم ؟ هانذا أتقدم الى العرش بريئا من كل ذنب ، صافى النفس نظيف اليد ، بدافع الشرف ، ورغم تحذيرات الشرف ، لأجلس فوق المستنقع ، مزمعا أن أتجنب التلوث جهد طاقتى ، وأنا غير متأكد انى أستطيع . وقانى الله ارتداد بصركم ان يدفعنى ، ان يزجنى فى أيام مقبلة .. اللهم اجعلنى رحمة ولا تجعلنى لعنة على قومى .

(يتقدم مرة ليقبله ، ثم جليلة ، بينما تصـدح الموسيقى وترتفع السيوف حتى تتماس أطرافها. ينحرف ليمد يده ليمامة ، التى تتردد لحظة ثم تقوم معه . ويتقدم الى العرش يتقدمه مرة وعن يمينه جليلة وعن يساره يمامة . ذراعاهما على كتفيه . تتلامس يدا الأم والابنة خلف ظهـــره ثم تتشابكان وهو يرتقى منصة العرش . تقعد جليلة عن يساره بينمـــا تجلس يمـــامة على الوسادة تحت قدميـــه . يتقـــدم عازفا الآلة الوترية والناى ليدورا حولهم يعزفان اللحـــن اللطيف الذى عزفاه لكليب فوق عرشه فى أول القصة بينما يسدل الستار ببطء) .

« ستار »

- هكذا انطفت المأساة اذن وتفجرت الاخفاء